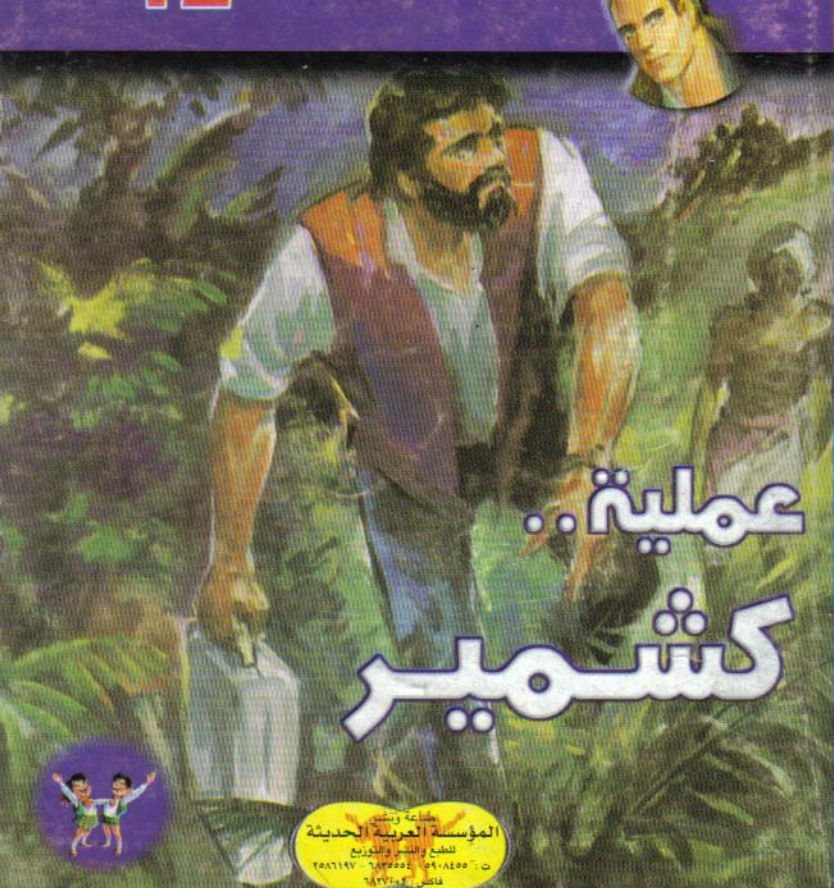
المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

روايات مصرية للجيب

12



عملية
كشمير

عدو قديم، وصديق فى الأسر،
ورفيقة تواجه خطراً محدقاً،
ومنطقة مشتعلة بالنزاع المسلح
والتهديدات النووية المتبادلة،
ومشروع / حلم لابد أن يكتمل ..
ورواية أخرى حافلة بالمغامرة
والإثارة والتشويق ..



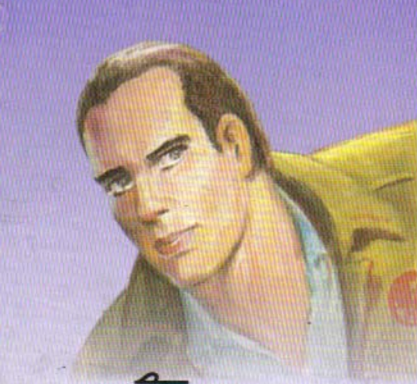
محمد سليمان عبد المالك

٢٠٠٣/١/١٣

المكتب 17
إدارة المهام الخاصة

★★★★

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق





الثمن فى مصر ٢٥٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
عملية الوجه الآخر

١ـ آخر الليل ..

أشجار عالية بين أحراش كثيفة ..

ظلام وسكون يليقان بليلة هادئة ..

قمر مكتمل فى جبينِ السماء ، يلقى بشذور فضية متلألئة فوق صفحة نهر ساكن يشق مجراه العميق بين الخضرة النائمة ، وينتهى بانحدار مفاجئ فى هيئة شلاّل ..

ـ يا اللّه !

ندت عن شبح بدّد ضوء البدر من ظلمته قليلاً ليكشف عن سمته البشرى ، داخل زورق بدائىّ يحمله النهر على أحد جانبيه ، وقد كشف الضوء الشاحب عن شبح آخر مماثل ـ وإن كان أكثر ضآلة ـ يمسك بالمجدافين .. ويجدف دون توقف ...

ـ .... حتى ستار الليل يقف عاجزًا عن إخفاء جمال بلادكم !

اللغة إنجليزية ، واللهجة منبهرة ، وقائل العبارة مستمر فى جلسته داخل الزورق أمام جمال وبهاء وجلال الطبيعة الصامتة أمام ناظريه ، وهو ما جعل رفيقه الضئيل يبتسم قائلاً بالإنجليزية التى شابتها اللكنة الآسيوية المميزة لشبه القارة الهندية وما يجاورها :

ـ ومنذ متى يستطيع الليل إخفاء أى شىء يا سيد (نادر) ؟!

وكأنما يحاور نفسه ، لم يجبه (نادر) المستغرق حتى أذنيه فى تأملاته ، فهزّ كتفيه وتابع بنفس اللغة ، ونفس اللكنة :

ـ ... ولاتنس أنها لم تصبح بلادنا بالمعنى الحرفى للكلمة سياسيًّا .. إن (كشمير)(*) مازالت مقسمة ، والخطر النووى يحدق بها من الجانبين ..

(★) كشمير : ولاية آسيوية تبلغ مساحتها ما يقارب ٨٦ ألف ميل مربع ، تحدها الصين وأفغانستان شمالاً ، والهند جنوبًا ، وباكستان غربًا ، وهضبة التبت شرقًا .. عاصمتها الشتوية (سرنجار) والصيفية =

أفاق (نادر) على العبارة الأخيرة ، ونظر إلى رفيقه الذى انعكس وهج عينيه برغم أنف الظلام ، وغمغم قائلاً :

ـ لابد لكل ليل من آخر .. أليس كذلك يا (غلام) ؟!

صمت (غلام) للحظات دون أن يتوقف ذراعاه عن التجديف ، ورفع عينيه فى النهاية إلى (نادر) الذى لاحظ أنهما قد توهجتا أكثر فى وجهه الأسمر ، برغم أنه قال فى شىء من اليأس :

ـ فى ظل تعقيدات عالمية ، بل وكونية ، كالتى نحيا فى خضمّها الآن ، يغدو النهار بعيدًا بعض الشىء ..

منحه (نادر) بسمة أمل وهو يقول غامزًا فى صوته الجهورى المعتاد :

= (جامو) .. وهى مقسمة بخط الهدنة (١٩٧٢) إلى قسم هندى (جامو وكشمير) وقسم باكستانى (آزاد كشمير أو كشمير المحرَّرة) ، لكن جذور الصراع تمتد إلى عام ١٩٤٨ حيث بدأ النزاع حولها من أحزاب تؤيد الانضمام للهند وأخرى ترى الانضمام لباكستان وثالثة ترى الاستقلال الكامل ، وتتبنىَ ١٣ جماعة منها المقاومة المسلحة ..

- لكنه يعود حتمًا فى النهاية .. مهما طال الليل يعود النهار ..

ابتسم (غلام) مرغمًا وهو يقول :

- صدقت يا سيدى .. هكذا يقول المنطق لو كنا لانزال نتصور أننا نعيش فى عالم يحكمه ولو قدر يسير من المنطق !

ورفع عينيه إلى صفحة السماء الحالكة ، لتتوقف يداه فجأة عن تحريك المجدافين ، وهو يقول :

- ... سنوقف الزورق ها هنا ، فسيقابلنا الشلال بعد عدة أمتار ، ومن الأفضل أن نسير المسافة الباقية على قدمينا ..

هزّ (نادر) رأسه وهو يقول :

- هذا أفضل قطعًا من أن يحطم الشلال الزورق ، ويحطمنا معه !

قفز (غلام) فى الماء فجأة ـ حتى إن (نادر) فزع

لوهلة قبل أن يستبين الأمر ـ وغمر الماء نصفه الأسفل حتى جذعه ، وأخذ يجذب الزورق ببطء نحو الضفة القريبة ..

- هل أهبط وأساعدك ؟!

- أشكرك يا سيدى ..

قالها (غلام) مواصلاً عمله فى دأب ...

- .... كل ما أرجوه هو أن تخفض من صوتك قليلاً حتى لانلقى حتفنا ها هنا !

مط (نادر) شفتيه وغمغم مبتئسًا :

- حتى أنت يا (غلام) ؟!

وترك الفتى يواصل عمله ليلقى بنظرة أخيرة على مظهره المنعكس فوق مرآة النهر ، بوجهه النحيل وشاربه الكث والعمامة والرداء الكتانى المميز لهذه المنطقة من العالم ..

- الآن تستطيع القفز يا سيد (نادر) ..

وبينما أخذ (غلام) يربط مؤخرة القارب بحبل سميك مجدول، قفز (نادر) من صخرة إلى أخرى حتى استقامت قدماه به فوق الأرض الطينية اليابسة، وتابع الأخير ببصره (غلام) وهو يجذب الحبل السميك ليربطه بصخرة صغيرة ناتئة، ثم يغادر المياه ناحيته وقد أنهكته الرحلة ..

أراد (نادر) أن يهنئه على مجهوده، لكنه تذكر بنبراته الجهورية التى لا يجيد السيطرة عليها، فآثر الصمت واكتفى بأن ربت على كتفه الضئيل فى تشجيع ..

ـ من هنا يا سيدى ..

أشار (غلام) بسبابته إلى جهة مظلمة موازية لضفة النهر، فأومأ (نادر) له برأسه وسارا فى الاتجاه متجاورَيْن حتى ابتلعهما الظلام تحت أغصان الأشجار الكثيرة الكثيفة المتشابكة ..

أضاء (غلام) بطارية صغيرة انبعث منها مخروط

ضوئى واسع، وتقدم (نادر) بعدة خطوات ليقوده فى الطريق الذى ما برح يضيق ويتشابك، وتعجب الأخير فى أعماقه: كيف يحفظون هذه المسارات الضيّقة المتشابهة ؟! بل وكيف يجيدون السير فيها أصلاً دون خوف ؟! ومع اطرادهما فى السير وجد متسعًا لمزيد من الأفكار: ربما نشأ عجبه من كونه غريبًا فى مكان كهذا .. وربما لو انعكست الأدوار لكان العجب من نصيب (غلام) وهو يعبر أزقة (شبرا) وحواريها الضيقة حيث يسكن (نادر) !

المزيد من الخطوات الواسعة والأحراش السخيفة والشجيرات الباسقة والطرق المتعرجة ..

والنهاية أخيرًا ..

عبرا بين جذعين ضخمين لشجرتين عجوزين، وشهق (نادر) مأخوذًا بينما ارتسمت بسمة فخر على شفتى (غلام) ..

ـ أعجبك الشلال يا سيدى ؟!

غمغم بها (غلام) دون أن يكون فى حاجة إلى إجابة، فمنذ اللحظة الأولى التى عانقت فيها عينا (نادر) الشلال أيقن أنه وقع فى غرامه ...

ـ .... لهذا يسمون (كشمير) فردوسًا مفقودًا !

لا تستطيع الكلمات مهما كانت بارعة أو معبرة أو شاعرية أن تصف جزءًا ضئيلاً من جمال المنظر، ومنذ متى تستطيع الكلمات أن تصف فردوسًا مفقودًا ؟!

الزاوية العلوية نفسها التى ينظر منها (نادر) جعلت المشهد حلمًا غير قابل للوصف أو للمس أو للتكرار، كل ما يمكن أن تتمناه فى لحظة كهذه ـ وهو ما تمناه (نادر) دون شك ـ أن تتوحد مع هذا الشعور الذى يغمر أعطافك ويغسل روحك إلى الأبد ..

ـ إحم .. معذرة، أخشى أن أقطع عليكما متعة اللحظة لكن ..

استدار ـ (نادر) و(غلام) ـ فجأة، وقد فاجأهما هذا المتحدث من الخلف، الذى تابع فى هدوء مفتعل :

ـ ... لكنى لا أملك الكثير من الوقت بكل أسف ..

ممتلئ الجسد، ربعة، يرتدى قميصًا وبنطالاً داكنين، وملامح وجهه مختفية برغم اكتمال القمر، إلا من شعر ناعم طويل ..

تحسس (نادر) مكمن مسدسه أسفل ملابسه، وسأل مقطبًا :

أنت (سانجاى) ؟!

أمعن النظر فى يده الممتدة بالمسدس المزود بكاتم الصوت، وفى يده الأخرى التى تحمل الحقيبة المعدنية، وفى شفتيه اللتين كشفتا عن صفين من الأسنان البيضاء الناصعة وهو يجيب بالإنجليزية المغموسة بالآسيوية :

ـ ليس هذا من شأنك .. جئت أعطيكم ما طلبتم وآخذ الثمن ..

ـ نعم، ولكن ..

قالها (نـادر) وهو يقلب كفيه بحركة مستفزة ، فهتف ذو الشعر الطويل :

ـ لكن ماذا ؟! هل تراجعتم عن عرضكم ؟!

ـ كلا .. كلا .. هذه ليست من عاداتنا كما تعلم .. وإنما أعنى ..

ـ بدأت تثير أعصابى .. تكلم بسرعة وبوضوح ..

صمت (نـادر) هنيهة كأنما يلهو بأعصابه ، وتنحى (غلام) بعيدًا عنهما وكأن الأمر لا يعنيه ، وتنهد الأول ثم قال فى النهاية :

ـ السعر ..

ـ ماذا عنه ؟!

ـ أليس مبالغًا فيه بعض الشىء ؟!

ـ لقد قبلتم به ..

ـ أسعارك تتجاوز التسعيرة العالمية المتفق عليه بآلاف الدولارات يا عزيزى ..

قال الرجل ساخرًا :

ـ يمكنك أن تشكونى إلى مجلس الأمن لو أحببت !

ـ أتحدث عن قواعد السوق ..

ـ هذا السوق بلا قواعد ، إننا نتعامل مع بضاعة محظور تداولها ، لذا عليكم أن تدفعوا ثمن الخطر والمخاطرة ..

تقمص (نـادر) شخصية المساوم بحنكة وهو يقول :

ـ ليكن .. دعنا نتحدث عن البضاعة ..

رفع الرجل ساعده الممسك بالحقيبة دون أن يخفض مسدسه ، وقال فى تحد :

ـ ها هى ذى .. كاملة كما اتفقنا ..

ـ إنها المرة الأولى التى نتعامل فيها معًا يا عزيزى ..

ـ صحيح ، وربما كانت الأخيرة ..

- ما أعنيه هو ضمان حصولى على البضاعة التى تم الاتفاق عليها !

خيل لـ (نادر) أن حاجبا الرجل قد انعقدا برغم الظلام الذى يكسو وجهه، لذا فقد سارع بطرح تفسيره دون طلب :

- ... ما الذى يضمن لى أن الحقيبة التى سأتسلمها منك الآن تحوى ما اتفقنا عليه عبر الإنترنت ؟!

قال الرجل ذو الشعر الطويل مغتاظًا :

- افحصها الآن لو أحببت !

جلجلت ضحكة (نادر) الجهورية فى سماء (كشمير)، حتى إن (غلام) نظر يمنة ويسرة خوفًا من أن يكون أحد قد سمعها، بينما تشنجت يد الرجل ذى الشعر الطويل الممسكة بالمسدس، وقال (نادر) فى النهاية مغالبًا قهقهته :

- عذرًا يا رجل لكنى لم أستطع منع نفسى .. أنت

تتحدث كما لو كان هذا ممكنًا بالفعل، كأنك تريد إرضاء طفل صغير .. بالطبع لست تجهل أن فحص بضاعة كهذه يتطلب ظروفًا خاصة وملابس عازلة، وإلا أصبت بالسرطان بَعد فترة وجيزة، أو على الأقل بمتلازمة ما بعد الإشعاع .. (*)

سأل الرجل فى عمق وتربص :

- والمطلوب ؟!

- أترك لعدالتك الحكم ..

- لا تقل لى إنك ستأخذ البضاعة لفحصها أولاً ثم تدفع بعد ذلك !

- لسنا (جيم كارى) و(جيف دانييلز) فى فيلم (غباء × غباء) حتى أطلب منك ذلك ..

وضيق (نادر) عينيه مضيفًا :

(★) مجموعة من الأعراض التى تصيب من يتعرضون للإشعاع بعد شهور قليلة مثل القيء، الاسهال، انخفاض عدد خلايا الدم، النزيف، سقوط الشعر، إعتام عدسة العين وأعراض أخرى كثيرة ..

ـ ... لكن ، ألا يستحق أمر كهذا بعض التنازل من جهتك ؟! أتحدث بخصوص السعر كما هدتك فطنتك بالتأكيد !

ران الصمت للحظات بدت فى عمر الزمن أعوامًا للطرفين ، حتى قال الرجل فى نفس هدوئه ورصانته :

ـ لماذا أشعر بأنكم تخدعوننى ؟!

قبل أن يجيبه (نادر) رن هاتف محمول ، وكان هاتفه هو !

ـ معذرة .. سآخذ هذه المكالمة ثم نستأنف ...

ـ أهذا هاتف أقمار صناعية ؟!

ـ بالتأكيد ..

قالها (نادر) وهو يضغط زر قبول المكالمة ، وحاول قدر استطاعته أن يخفض من صوته وهو يتحدث بالعربية :

ـ أجل .. نعم .. الأمور تسير على ما يرام .. ماذا يا (دينا) ؟! تقولين إن أمرنا انكشف ؟!

وفجأة ، انفتحت أبواب الجحيم على مصراعيها ..

غمر ضوء طائرتين مروحيتين المكان ، وارتفع دبيب أقدام من وراء الأشجار والأحراش ، وأزت الرصاصات التى انطلقت بلاحساب ، واندفع جسد الرجل ذى الشعر الطويل إلى الوراء إثر الرصاصات التى اخترقته فى غير مكان ، بينما طارت الحقيبة التى يمسك بها فى الهواء ..

ـ لقد انكشفنا يا سيدى ..

صاح بها (غلام) فى فزع ، بينما تحرك (نادر) دون أن يعير التفاته إلا للحقيبة ، فقفز واحتضنها بذراعيه ، وبمجرد أن استقرت قدماه فوق الأرض مجددًا ، أخذ يعدو نحو (غلام) الذى سمرته المفاجأة فى مكانه ، والرصاصات تطارده من الطائرتين ومن جهة الغابة ..

ـ توقفا .. وارفعا أيديكما لأعلى ..

دوى الصوت من مكبرات صوت الطائرة الأولى بـ (الأوردو) أولاً ثم بالإنجليزية، بينما عدا (نادر) جاذبًا (غلام) من ذراعه خلفه نحو نقطة انحدار الشلال والرصاصات ما برحت تقتفى أثره، ودبيب الأقدام يدنو بسرعة، حتى إنه ارتسم أشباحًا سوداء مسلحة من ناحية الأشجار والأحراش ..

- سيقتلوننا !

صاح (غلام) وصاح به (نادر) بدوره :

- تماسك يا فتى ..

ودفع بالفتى خلف صخرة عالية، تشرف على منحدر النهر مباشرة، فى نفس اللحظة التى دوى فيها أزيز الطائرتين فوق رأسيهما ..

- إنهم يطوقوننا .. الطائرات من الأمام والجنود من الخلف ..

هتف بها (غلام) مشيرًا بسبابته إلى أعلى، بينما

نظر (نادر) من خلف الصخرة ليرى الجنود قد ظهروا بالفعل من خلف الأشجار، وليراهم يقتربون فى سرعة نحو هدف محدد ..

الصخرة التى يختبآن خلفها ..

- لا يوجد سوى حل واحد ..

قالها (نادر) وهو ينظر إلى الشلال الذى تضرب مياهه قاع النهر بالأسفل، وجذب (غلام) من ذراعه هاتفًا فى صرامة :

- هيا .. اقفز ..

- ماذا ؟! أين ؟!

- إلى أسفل ..

- مستحيل .. الصخور قاتلة .. و ...

- قلت لك اقفز .. ستموت لو لم تفعل ..

- وسأموت لو فعلت .. إننى لا أجيد السباحة أصلاً ..

بدأت الطائرتان تستديران لمواجهتهما، وأصبح

الجنود قاب قوسين أو أدنى منهما ، فهتف (نـادر) فى نفاد صبر :

ـ تبًّا !

واستدار مخاطبًا (غلام) للمرة الأخيرة :

ـ ليكن ، لا تقل إننى لم أحذرك يا فتى !

ودون إضاعة لحظة إضافية ، ألقى (نادر) بنفسـه فى الهواء ، وتولت الجاذبية الأرضية الباقى ..

وفى اللحظة التى غاص فيها (نادر) تحت المـاء ، مطلقًا رشاشًا عارمًـا ، أكملت الطائرتـان دورتيهمـا ، وبرز الجنود من خلف الصخرة كالزبانية ..

رفع (غلام) ذراعيه صائحًا فى هلع :

ـ أنا مستسلم ، إننى ...

أسكتته لطمة من سلاح أحد الجنود ، وألقتـه فوق الأرض ، فى حين قال أحدهم :

ـ كان معه واحد آخر ..

سأل آخر :

ـ أأنت واثق ؟!

ـ بالطبع ..

ـ ربما قفز مع مياه الشلال ..

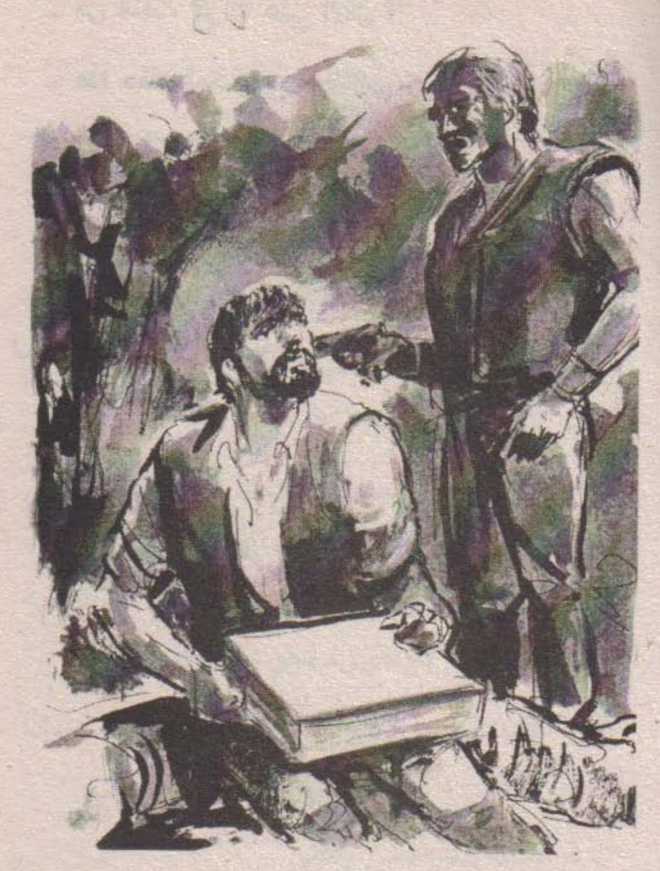
ـ لقد لقى حتفه باختياره إذن !

ـ هذا ليس أكيدًا .. وتحسبًا لكل الظروف ، دعونـا ننتشر بحثًا عنه ..

وبدأ التنفيذ على الفور ..

وعند ضفة بعيدة أسفل الشلال ، غادر المياه شـبح متشـح بالسـواد ، يمسـك حقيبـة معدنيـة لامعـة بكـل صلابة ..

استراح فوق جذع شجرة ممتـد فـوق الأرض ، ووضع الحقيبة على ساقيه ، ثم ابتسـم متابعًا مرأى الجنـود بـالأعلى والطائرتـان المروحيتـان تحومـان بضوئهما القوى حول المنطقة ..



التصقت فوهة باردة برأسه من الخلف فأيقن أن الأمر خارج حدود الهزل ..

غمغم ساخرًا :

ـ لن تهزموا بطلاً قوميًا فى السباحة أيها الأوغاد ..

واستعد للنهوض ، حينما ...

ـ ارفع يديك ببطء شديد أيها المصرى ..

لهجة أمريكية سليمة مئة بالمئة .. و ...

ـ .... إن لم تفعل ستخسر الكثير ، لو كانت حياتك تعنى لك الكثير !

... التصقت فوهة باردة برأسه من الخلف فأيقن أن الأمر خارج حدود الهزل ، ولم يكن هناك مفر من الامتثال ، ورفع اليدين ..

ـ من تكون ؟!

سأل (نادر) ليأتيه الجواب المتهكم :

ـ الشيطان نفسه ..

ـ هل ألتفت لأراك على الأقل ؟!

ـ هذا حقك المشروع ، ولكن ...

صمت ، ثم ...

ـ .... ليس الآن ..

.. آخر ما شعر به (نادر) كان ضربة فوق مؤخرة رأسه ، ثم الإظلام التام ..

★ ★ ★

٢ ـ المشروع / الحلم ..

ـ كنت أعرف أنه أنت هذه المرة يا سيادة العميد !

قالها (عمر زهران) والبسمة تتألق فوق شفتيه ، متخذاً مقعده المواجه للصقر العجوز داخل الطائرة الخاصة الصغيرة ، الرابضة فى ركن قصى من ممرات إقلاع مطار (أورلى) ..

كان يرتدى ملابس صيفية مكونة من قميص أبيض قصير الكمين ، وبنطال من الجينز الأزرق العادى ، بينما لم يتخل أستاذه العميد (منصور حرب) عن الحلة الرسمية الكاملة برغم حرارة الجو وانتصاف الظهيرة ..

قال العميد (حرب) والطائرة تغلق أبوابها استعداداً للإقلاع الفورى :

ـ فراستك لا تدهشنى يا فتى ..

هز (عمر) كتفيه، وأراح ساعديه على مسندى مقعده قائلاً فى استهانة:

- لايحتاج الأمر لكثير من الفراسة ياسيدى.. مادام هناك طائرة خاصة تنتظرنى فى (باريس) فأنت من على متنها حتمًا، حدث هذا منذ شهور فى عمليتى مع العالِم الرابع لو تذكر..

ثم إنه أضاف مداعبًا:

- ... أتعشم ألا أجد نفسى فى (الشيشان) هذه المرة أيضًا!

ضيق العميد (حرب) عينيه وقال:

- العملية هذه المرة لاتبعد عن التى تذكرها كثيرًا، عن المضمون أتحدث..

تألقت عينا (عمر) وهو يهتف فى حماسة:

- رائع.. هى عملية جديدة كما لم تخذلنى فراستى من جديد..

- أخبرنى أولاً: هل التأمت جراح عمليتك الأخيرة؟! وهل أثمرت برامج إعادة التأهيل نتائج جيدة؟!

- أظنك أعلم منى بهذا ياسيادة العميد.. وأظنك تتابع تقارير العلاج التى تحظرون علىّ مجرد رؤيتها..

هز العميد (حرب) رأسه إيجابًا، وأرسل بصره عبر النافذة الدائرية إلى جواره، والتى كشفت عن بدء الإقلاع وابتعاد الأرض، ثم قال فى لهجة عملية محايدة:

- التقارير تقول إنك تتحسن، وإن برنامج إعادة تأهيلك خلال الأسابيع الماضية قد نجح فى إعادة مايزيد على الـ ٩٠٪ من لياقتك..

غمزه (عمر) وقال ضاحكًا:

- ربما كان لـ (باريس) فضلٌ عظيمٌ فى هذا!

نظر أستاذه فى عينيه مباشرة ليقول:

- الفضل الحقيقى لصديقتك اللدود..

شرد (عمر) بعينيه إلى المجهول لهنيهة قصيرة ، قبل أن تلوح بسمة مبهمة المغزى فوق شفتيه ، وقبل أن يغمغم بمشاعر متضاربة :

ـ نعم .. (مادلين تشايمر) .. غريب حقًّا أمر هذه المرأة .. طوال الفترة الماضية وأنا خاضع للعلاج وإعادة التأهيل فى مستشفى تملكه ، من ضمن ماتملك من مؤسسات داخل نطاق امبراطوريتها الاقتصادية التكنولوجية ، وبرغم ذلك لم أفلح فى رؤيتها ولو لمرة واحدة .. هناك دائمًا عذر مايشهره رجالها وطاقم السكرتارية الخاص بها لئلا أقابلها برغم سعيى لذلك مرارًا ..

عقد العميد (حرب) ساعديه أمام صدره وقال :

ـ الرسالة التى أبرقت بها على عنوانك الإلكترونى فى مزودات الإدارة ـ بعد حادث (لوكسمبورج) مباشرة ـ يعنى أنها ستقابلك ثانية حتمًا ..

ـ أردت أن أشكر لها إنقاذ حياتى وتحملها نفقات علاجى قبل أن نتقابل كغريمين مرة أخرى !

ـ ربما لايكون هذا متاحًا ، فهى مصرة فيما يبدو على أن تسترد منك دينها القديم ..

وعاد العميد (حرب) بالحديث إلى مجراه ثانية :

ـ ... المهم أننى أسألك عن شعورك الداخلى بعيدًا عن التقييمات العلاجية : هل تشعر بصلاحيتك بدنيًّا ونفسيًّا لتحمل عبء مهمة غاية فى الخُطورة ؟!

صمت (عمر) للحظة ، وبرغم يقينه بأن السؤال ليس إلا تحصيل حاصل ، إلا أنه زفر مجيبًا بكل الصدق والعمق :

ـ أشعر بأننى كتلة متوهجة من الطاقة ياسيدى ..

ولما فاجأته نظرات الصقر العجوز الحادة الصارمة كسيف مسلول ، أضاف بلهجة أكثر صدقًا وعمقًا :

ـ ... ولندع الميدان يحسم هكذا مسألة !

قال العميد (حرب) وهو يضغط الأزرار المدمجة فى ذراع مقعده، لتبدأ الشاشةِ الكريستالية الرفيعة المدمجة بالطاولة بينهما فى الارتفاع لأعلى ببطء:

- هذا ما أنتويه بالفعل، ولعلك لو عرفت أن (نادر الشريف) فى مأزق تتحمس أكثر!

علت صورة (نادر) فى الملابس الكشميرية المميزة شاشة العرض، وعلى الفور انعقد حاجبا (عمر)، وندّ عنه الهتاف المزعج لا إراديًا:

- (نادر) ؟! كيف وأين ولماذا ؟!

- سأجيب عن السؤال الثانى أولاً .. فى (كشمير)!

- (كشمير) ؟!!

- هى بعينها .. أظنك سمعت اسم هذه المنطقة يتردد كثيرًا، بالذات فى الآونة الأخيرة ..

- بالفعل .. سمعته كثيرًا فى نشرات الأخبار، وقرأت اسمه فى أكثر من دورية ..

إنها منطقة تعانى من نزاع ضارٍ بين دولتين تملك كل منهما ترسانة نووية قادرة على إفناء الأخرى ..

- لذا فهو صراع على صفيح ساخن تتجه إليه أنظار العالم فى رعب متربص وحذر غير مطمئن .. معلوماتك صحيحة، نقيب (عمر) ..

- وما الذى دفع (نادر) إلى تلك المنطقة الساخنة ؟!

- نفس ما دفعك من قبل إلى الذهاب لمنطقة مثل (الشيشان) ..

هتف (عمر) مندهشًا:

- (بلوتونيوم) ؟!

صمت العميد (حرب) مليًا، ثم أجاب وهو يقدم كلمة ويؤخر أخرى:

- شحنة أخرى من مواد تحرم القوانين الدولية الاتجار فيها بغرض فرض هيمنة الأقوياء على

الضعفاء ، أرسلناه ليحضرها كخطوة أخرى على طريق المشروع / الحلم ، أو لنقل : على طريق الحلم المشروع !

ابتسم (عمر) وهو يقول منتشيًا :

ـ لا أعرف الكثير عن تفاصيله ، لكنى سعيد حقًّا بأنه ما زال يمضى بخطى ثابتة محسوبة .. ما زالت القوة فى رأيى وسيلة مثلى لأن تحيا بكرامة فى غابة من الغيلان المتوحشة ..

بادله العميد (حرب) الابتسام ، وقال :

ـ وما زلت بكل أسف عاجزًا عن إمدادك بتفاصيل المشروع المصنف تحت بند السرية المطلقة ..

رفع (عمر) راحته فى مواجهة أستاذه قائلاً برحابة صدر :

ـ هذا يكفى ويزيد .. نعود للتحدث عن مهمتى فى (كشمير) ..

تراجع العميد (حرب) بظهره إلى الوراء وبدأ فى سرد القصة من بدايتها :

ـ وصلنا عرض البيع هذه المرة دون وسيط .. أحد عملائنا فى غرب (أوروبا) استطاع بوسيلة ما أن يفتح قناة اتصال ما مع أحد العاملين فى مفاعل نووى هندى ، فى الغالب تم ذلك عن طريق فضاء (السايبر) وبوسائل معقدة جدًّا ضمانًا للسرية والتغطية .. وعبر هذه القناة علم عميلنا أن الموظف الهندى يريد بيع كمية من (البلوتونيوم) النقى بسعر عالٍ للغاية يتجاوز السبعة أصفار من الدولارات ..

صفّر (عمر) بشفتيه وهو يرمق صورة الهندى ذى الشعر الطويل التى ارتسمت فوق الشاشة ، وهتف متعجبًا :

ـ مبلغ خيالى حقًّا ..

أكمل العميد (حرب) :

ـ ولا يتناسب بأى حال مع كمية البضاعة الضئيلة

نسبيًا ، لكننا آثرنا أن نسير معه فى الطريق حتى آخره ، لئلا تضيع علينا فرصة الحصول على ما نريد ..

ـ تفكير منطقى ..

ـ كان المفترض أن يذهب عميلنا هذا للقائه فى (كشمير) البارحة ، خاصة وأن هويته بمقدورها أن تبعد عنا كل الشبهات الممكنة ، فبرغم كل شىء مازلنا نحرص على ألا ينكشف سر مشروعنا للعالم قبل أن نمضى فيه إلى مدى معين يستحيل بعده أن يجبرنا أحد على التراجع .. بل ويمتد حرصنا إلى الابتعاد عن أى مصدر محتمل للشبهات يرد فيه ذكر اسم (مصر) ..

ـ هذا أيضًا تفكير منطقى للغاية ..

ـ عميلنا هذا صحفى بلغارى كان يزمع الذهاب لعمل تحقيق صحفى مصور عن (كشمير) والأوضاع فيها ، لكنه قبل موعد سفره المحدد إلى (باكستان) أبرق لنا باعتذاره عن المهمة الموكولة إليه من طرفنا !

سأل (عمر) مستغربًا :

ـ وما السبب ؟!

ـ لم يذكر أسبابًا ، ولم نكن وقتها نستطيع الوقوف أمام هذا الأمر طويلاً ، خاصة وأنه رد إلينا كل ما دفعناه له من تكاليف السفر والإقامة هناك ، وهكذا لم يكن أمامنا بديل سوى إرسال أحد رجالنا الثقات إلى هناك ..

ـ ووقع الاختيار على (نادر) ..

ـ هذا ما حدث فعلاً .. تم تكليفه بالمهمة على الفور وسافر إلى (باكستان) منذ بضعة أيام ، لكنه لم يكن وحده ..

ـ أرسلتم معه رجلاً آخر من الإدارة ؟!

فتاة من الإدارة .. خبيرة تقنيات .. كان دور (دينا) ..

قاطعه (عمر) مصحوقًا :

ـ (دينا واصف) ؟!

قال العميد (حرب) بلهجة تقريرية جافة :

- ومن غيرها ؟!

ثم إنه استأنف مستطردًا :

- ... كان دورها كخبيرة تقنيات يقتصر على البقاء فى (شيراتون إسلام آباد) كوسيط اتصال بيننا وبينه فى أثناء مهمته داخل (كشمير) ، ذلك حتى لانضطر للتحدث معه مباشرة فنقع فى احتمال انكشاف تورطنا بالعملية ..

سأل (عمر) بلهجة حملت كل الخطر :

- وبأى هوية دخلا (باكستان) ؟!

- دخل (نادر) بهوية مزورة مطابقة لهوية الصحفى البلغارى ، ودخلت (دينا) بهوية خبيرة تقنيات تابعة لمنظمة الصحة العالمية ..

عاد (عمر) يسأل :

- وكيف استطاع (نادر) دخول (كشمير) ؟!

وأجابه الصقر العجوز :

- تربطنا بعض الصلات بحزب (المؤتمر الشعبى) الذى ينادى باستقلال (كشمير) كليًا عن (الهند) و(باكستان) ، وعليه فقد أرسلوا مندوبًا يدعى (غلام مير) وهو شاب حديث السن لكن خبرته الجغرافية بـ (كشمير) ممتازة ، وذلك ليصحب (نادر) عبر أحد الأنهار التى تصب فى بحيرة (وولار) فى الجانب الهندى من المقاطعة إلى حيث مكان اللقاء المتفق عليه ..

والتقط أنفاسه ثم تابع :

- ... كانت خطتنا عميقة فى بساطتها ، وذلك بمساومة الرجل الذى سيجلب لنا الشحنة على تخفيض سعرها بدرجة كبيرة فى مقابل أخذها منه دون أن نفحصها أو نتأكد من صحتها ..

وهنا سأل (عمر) مجددًا :

- ولماذا لم ترسلوا عالمًا آخر لفحصها ؟!

ـ بعد الخطر الجسيم الذى تعرض له الدكتور (رشدى نوّار) فى العملية السابقة، وهو خطر كان كفيلاً بإفقاده حياته الغالية لولا أن أنقذته أنت فى اللحظة الأخيرة، قررنا ألا نفعل ..

ـ وماذا لو كانت الشحنة مزيفة فعلاً ؟!

ـ مخاطرة محسوبة فى مقابل سعر بخس .. ثم لاتنس : (يفوز باللذات كل مغامر) !

ـ صدقت ياسيدى .. وصدق الشاعر أيضًا !

ثم إنه عاد يسأل :

ـ ... وماذا حدث ؟!

ـ سارت الأمور فى مجاريها الطبيعية ليلة أمس، تسلل (نادر) و(غلام) إلى (كشمير) وقابلا الرجل الهندى وكاد الاتفاق يتم، عندما أتت هذه الرسالة المباغتة على بريد (دينا) الإلكترونى ..

علا النص بالإنجليزية الشاشة، والتهمته عينا (عمر) بمنتهى السرعة ..

حركتكم مكشوفة أيها المصريون ..

كش مات ..

I

فى حين واصل العميد (حرب) سرد مالديه :

ـ ... بمجرد أن قرأت (دينا) الرسالة سارعت بالاتصال بنا والفزع يلتهم نبراتها، وعلى الفور أمرناها بالاتصال بـ (نادر) وإبلاغه بإلغاء العملية حتى نرى خطوتنا القادمة، وقد امتثلت على الفور للأوامر، لكن ...

وران الصمت الممزوج بالمرارة، فقال (عمر) مستحثًا إياه على الاستمرار :

ـ لكن ماذا ؟!

تنهد العميد (حرب) وقال مغالبًا مشاعره البغيضة :

ـ سبق السيف العزل ..

وسارع بالتفسير دون أن يمنح (عمر) فرصة أن يطلب منه ذلك :

ـ ... لقد فشلت العملية .. فجأة انشقت سماء (كشمير) وأرضها عن جنود من قوات الحدود الهندية ، واستطاعت أن تقتل الرجل الهندى وأن تأسر (غلام) كما أفادت مصادر لنا بينهم ..

سأله (عمر) موجسًا ضيقة :

ـ و(نادر) ؟! ماذا عنه ؟!

صمت العميد (حرب) للحظة سقط فيها قلب (عمر) بين قدميه ، قبل أن يرفع الأول رأسه مجيبًا فى حسم :

ـ مختف .. لا أثر له على الإطلاق ..

ـ وما معنى هذا ؟!

ـ أقوال تتناثر عن هربه عبر النهر ، لكنه لم يتصل بنا منذ لحظتها مما قد يعنى أى شىء ، خاصة وأن الشحنة بدورها مختفية ..

ـ إنها معه إذن ..

ـ لا شىء أكيد حتى هذه اللحظة ..

أشار (عمر) للشاشة الكريستالية وتساءل :

ـ ومن (I) هذا ؟!

ـ لا نعلم على وجه اليقين ، لكنه شخص يعنى ما يقول كما هو واضح !

ـ وهل لاستخدامه لهذا الحرف اللاتينى بالذات دلالة معينة ؟!

ـ لو كان فنحن لم نستدل على هذه الدلالة بعد .. خبراؤنا عاكفون على تجميع المعلومات وتحليل البيانات واقتفاء الأثر ، لكننا كالعادة نسابق الزمن على كل الجبهات الممكنة ..

قال (عمر) بعد أن فكر قليلاً :

ـ ألا يمكن أن ...

وقاطعه أستاذه على الفور :

ـ دعك من لعبة التخمينات الآن .. إن مهمتك ببساطة هى العثور على (نادر) وحقيبة (البلوتونيوم) ..

ـ بإذن اللّه يا سيدى ..

قالها (عمر) فى عزيمة وثبات ، فاطمأن قلب العميد (حرب) وهو يقول :

ـ (دينا) ما زالت تنتظرك فى (شيراتون إسلام آباد) ، ستنضم إليك فى مهمة البحث العسيرة هذه ، وستجد فى انتظارك بالمطار مرافق آخر من حزب (المؤتمر الشعبى) يدعى (اشتياق أحمد) ..

ارتسمت صورة الأخير فوق الشاشة ، شاب ملتحٍ أسود الشعر والعينين ، فهز (عمر) رأسه متفهمًا فى

حين مد له العميد (حرب) يده بمظروف كبير مغلق ، وتابع بقوله :

ـ ... هذه أوراق هويتك .. صحفى برازيلى يدعى (باولو فرناند) .. ستهبط بنا هذه الطائرة فى (أوزبكستان) ، ومنها ستستقل طائرة ركاب عادية إلى (إسلام آباد) جنوبًا ، حتى لايثير مرآك الشكوك فى حالة هبوطك من طائرة خاصة صغيرة ..

تناول (عمر) المظروف فى عناية وهو يهز رأسه مغمغمًا :

ـ هذا مفهوم قطعًا ..

ورفع رأسه إلى الصقر العجوز سائلاً للمرة الأخيرة :

ـ ... هل من خطة محددة يا سيدى ؟!

وأجاب العميد (حرب) شابكًا أصابع كفيه :

ـ ليست خطة بالمعنى الحرفى ، مجرد خطوط عريضة لك حرية التصرف بينها كالعملية السابقة ، لكن ...

ورفع سبابته ملقيًا بتحذيره الأخير :

ـ ... بمنتهى الحذر !

* * *

٣ ـ ما ليس متوقعًا !

ـ (اشتياق أحمد) ..

ـ (باولو فرناند) ..

تصافحا فى منتصف صالة الوصول ، لم يكن هناك الكثير من الواصلين على طائرة (أوزبكستان) على ما يبدا ، وبينما نظر (عمر) إلى ساعة المطار الكبيرة التى أشارت إلى الرابعة عصرًا ، نظر (اشتياق) إلى حقيبته الصغيرة المتدلية من على كتفه وابتسم قائلاً بإنجليزية متداعية :

ـ يبدو أنك كنت على عجلة من أمرك حقًّا ياسيدى ..

قال (عمر) وعيناه ترنوان إلى الشمس المستديرة قرصًا مضيئًا فى السماء :

ـ بعض الأمور لاتحتمل التأجيل كما تعلم ياصديقى ..

ـ أعلـم ، ولسـت هنـا إلا لمسـاعدتك برغـم جهلـى بطبيعة مهمتك ..

ـ دعنا لانستبق الأحداث ..

ثم سأله وهما يسيران الهوينى نحو بوابة الخروج الزجاجية :

ـ ... هل جهزت لى ما طلبته ؟!

هز (اشتياق) رأسه الذى يكلله شعر حريرى أسود ، وأجاب :

ـ أبلغونى بما تريد ولم أتأخر للحظة ، هناك الآن حجز باسمك فى فندق (شيراتون إسلام آباد) غرفة رقم ...

انفتـح البـاب الزجـاجى آليًا فـور أن أصبحـا فـى مواجهته ، و (اشتياق) يتابع :

ـ ... قمنـا أيضًا بإعـداد مروحيـة للتحـليق فوق (كشمير) ليلاً ، وللانتقـالات الداخليـة هنـاك سـيارة (جيب) مكشوفة تربض فى نهاية الشارع ، هناك ..

وأشار بسبابته إلى نهاية الشارع الذى تطـل عليـه بوابة المطار ، ولمح (عمر) السـيارة بـالفعل عندمـا رفع بصـره فى الاتجـاه المشـار إليه ، وكـانا يسـيران نحوها عندما سأل (عمـر) مشـيرًا إلـى جهـة أخـرى وهو يبتسم :

ـ ما هذا ؟!

كان يشير إلى عدد كبير من الدراجات النارية ذات عجلات ثلاث ، تم إضافة كابينة صغيرة مفتوحـة من الجانبين بحيث تتسع لشخصين يجلسـان علـى أريكـة خلفيـة بالإضافـة لسـائق الدراجـة نفسـه فـى الأمـام ، وأجابه (اشتياق) ، باسمًا بـدوره وقـد أدرك مغـزى سؤال ضيفه :

ـ هذا (تُك تُك) !

انعقد حاجبا (عمـر) وهـو يسـأل مسـتغربًا بنفس الابتسامة :

ـ وما معنى هذا ؟!

فسر (اشتياق) وهما يسرعان لتجنب رهط السائقين الهاتفين بلغتهم عن حاجتهما لمواصلة سريعة ، وهو ما ذكَّر (عمر) بالمنظر المماثل لسائقى سيارات الأجرة أمام (ميناء القاهرة الجوى) :

ـ إنها وسيلة المواصلات الشعبية الأولى فى شرق آسيا يا سيدى ، وهى تتكون ـ كما ترى ـ من دراجة بخارية تم تعديلها بحيث تتسع لثلاثة أفراد ، فى الغالب هى تطوير عصرى لـ (الراكشا) ..

ـ وما هذه الأخرى ؟!

ـ وسيلة مواصلات عتيقة انتقلت إلينا من (الصين) ، وهى عربة تتكون من صندوق بعجلتين وذراعين أماميتين يجرهما شخص ، على أن يجلس داخل الصندوق عدد مناسب من راغبى الانتقال ..

تذكر (عمر) أن وسيلة الانتقال هذه قد انتقلت إلى بلاده مع تعديل طفيف تحل فيه دابة محل السائق ، وانتقل الأخير بالتالى خلفها ليقودها بالسوط

والهتاف ، لكنه وجد حرجًا فى ذكر حقيقة كهذه أمام مرافقه !

تجاوزا رهط السائقين المتحمسين ولم يعد يفصل بينهما وبين (الجيب) المكشوفة سوى عبور الشارع ، وكان الوضع مناسبًا لانبعاث رنين هاتف محمول يحمله (اشتياق) ..

ـ تفضل يا سيدى ..

قطب (عمر) وهو ينظر إلى الهاتف الصغير الذى ما برح الرنين ينبعث منه مع إضاءة الشاشة ، وسأل (اشتياق) المبتسم الذى يمد يده به :

ـ ... هل من خطأ ما ؟!

قال (عمر) وهو يستوعب المسألة شيئًا فشيئًا :

ـ أهى مكالمة لى ؟!

أجابه (اشتياق) وابتسامته تمتد أكثر :

ـ بل هو هاتف خاص بك ، نسيت أن أخبرك بإعدادى للخط والجهاز من ضمن ما أتانى من متطلبات خاصة بك ..

تناول (عمر) الجهاز ونظر إلى شاشته مليًا ، هناك رقم كبير يحتل الشاشة ، رقم لا يستطيع التعرف عليه بكل تأكيد !

ـ خذ المكالمة ياسيدى قبل أن يهلك المنتظر على الطرف الآخر !

قالها (اشتياق) وهو يعبر الشارع الذى خلا من السيارات والدراجات البخارية لحظيًا ، تاركًا (عمر) بمفرده ينظر مازال فى الشاشة ، قبل أن يحسم أمره أخيرًا ، ويضغط زر قبول المكالمة ..

وضع الجهاز على أذنه وانتظر ، قابله الصمت من الطرف الآخر ، فنطق فى النهاية وهو يغالب قلقه :

ـ من ؟!

ـ (عمر) ؟!

هذا صوتها ، إنها ...

ـ (دينا) ؟!

ـ لقد وصلت إذن ..

رقص قلبه بين ضلوعه طربًا على إيقاعات صوتها ، وقبل أن يرد تعالى هتاف (اشتياق) من داخل (الجيب) :

ـ هيا ياسيدى ..

أشار له (عمر) ، وعبر الشارع بالفعل وهو يقول :

ـ أجل ، لقد ...

تجنب دراجة مسرعة من دراجات (التك تك) كادت تصطدم به ، وتجاهل سباب سائقها مواصلاً تقدمه من (الجيب) الرابضة على الجانب الآخر من الطريق ...

ـ ... وصلت من ..

وفجأة انبعث صوت النفير الحاد ..

فجأة رفع (عمر) عينيه إلى السيارة المتقدمة منه فى سرعة جنونية ..

فجأة .. وقع الاصطدام ..

طار (عمر) عاليًا فى الهواء ، ووقع لتصطدم مؤخرة رأسه بأسفلت الشارع ، وكان آخر ما سمعه قبل أن يفقد وعيه هو صوت السيارة التى صدمته وهى تعبر إلى جواره فى طريقها للفرار ..

أما (اشتياق) فقد سارع بالقفز من (الجيب) نحو رفيقه ، ونظر إليه مليًّا قبل أن يرفع عينيه إلى السيارة المبتعدة عند نهاية الشارع بنفس السرعة الجنونية ..

الحقيبة طارت بعيدًا ..

والهاتف هو الآخر طار بعيدًا وهو لايزال مفتوحًا ، ولايزال الطرف الآخر يتحدث ..

ورفيقه تحت قدميه ..

عليه أن يتصرف بسرعة ..

بمنتهى السرعة .. والحكمة ..

* * *

للمرة الألف تحاول (دينا) أن تعاود الاتصال الذى انقطع بغتة مع (عمر) ، وللمرة الألف تجد الهاتف مغلقًا ..

كان يتحدث منذ دقائق بصورة طبيعية ، وكان قد وصل من فوره إلى (إسلام آباد) كما كان يريد القول ، فما الذى قطع الاتصال بهذا الشكل الغريب ؟!

سمعت أصواتًا غريبة ، ارتطامات وهمهمات بعيدة وسيارات رائحة وجائية ، مما يحتمل عشرات التأويلات وسيناريوهات يحاول خيالها أن يفرضها برغم مجاهدتها لمنعه ..

أتراه يكون قد تعرض لهجوم ما ؟!

ممن ؟!

ربما ممن تسببوا فى انكشاف أمر (نادر) واختفائه حتى اللحظة ..

ومن تراهم يكونون ؟!

خصوم يعرفون بما يجرى ، فماذا بعد ؟!

تتصل بالإدارة عبر إحدى القنوات المؤمَّنة وتنقل إلى المسئولين شكوكها ؟!

أتراها تأخرت وكان يجب عليها أن تفعل منذ اللحظة الأولى ؟!

أم من الأفضل أن تنتظر فترة أخرى تخيب فيها - وهذا ما تتمناه - ظنونها وتموت وساوسها ؟!

ربما هو عطل أصاب الجهاز ، وربما تجد (عمر) أمامها بعد لحظات قليلة بابتسامته التى افتقدتها ،

وبروحه المرحة التى أوحشتها ، وبشاعريته التى تليق بفنان أكثر من مقاتل ..

لكن .. إلى متى ؟!

الاتصال رقم واحد بعد الألف ، النتيجة كالسابق : الهاتف لا يزال مغلقًا ..

حاولت أن تشغل نفسها بالعمل على حاسبها الآلى النقال الموصّل بالطريق السريع للمعلومات ، نظرت بالخطوط العريضة لخُطّة العمل التى أرسلتها إدارة المكتب ١٧ وراجعتها مجددًا ..

البحث فى نطاق الفندق ، التحليق فوق (كشمير) فى المنطقة المتفق عليها والبحث الميدانى هناك عما قد يثير الشكوك ، اقتفاء أثر الرسائل الإلكترونية التى تم إرسالها إليها عبر فضاء السايبر ، العمل على ...

لقد حفظت بنود الخطة من كثرة ما راجعتها ، فماذا عساها تفعل الآن ؟!

زفرت همومها فى تنهيدة حائرة ، وأخذت تذرع أنحاء الغرفة ، ضبطت نفسها تعدل من مظهرها أكثر من مرة أمام المرآة انتظارًا لمجىء (عمر) ، وتحكمت فى نبضات قلبها المتسارعة شوقًا مرة واضطرابًا وقلقًا مرات ..

كادت تحسم أمرها وترسل بكل مخاوفها إلى الإدارة فى رسالة إليكترونية ، لكن طرقات خفيفة فوق باب الغرفة حسمت الأمر ، وجعلتها تهرع إلى المرآة لتسوى زينتها مجددًا ، ثم أسرعت نحو الباب فى لهفة أم تنتظر ابنًا عائدًا ..

ـ من ؟!

سألت فى حرص وحذر دون أن تنسى أنها هنا بصفة خبيرة تابعة لمنظمة الصحة العالمية ، وأتاها الصوت النسائى الرقيق :

ـ خدمة الغرف ..

لم تشعر فى حياتها بمثل هذا الفيض من خيبة الأمل يغمر أعطافها ، لكن هذا لم ينسها أن تسأل بمزيد من الحرص والحذر :

ـ ماذا هناك ؟! إننى لم أطلب شيئًا ..

قال الصوت النسائى الرقيق :

ـ هناك رسالة لك يا سيدتى ..

لنفسها غمغمت (دينا) :

ـ رسالة ؟!

تابع الصوت النسائى الرقيق دون أن يكترث لقولها الهامس :

ـ رسالة عاجلة قال من سلمها إنها لا تحتمل التأجيل ..

فى خضم ارتباكها وحيرتها ومشاعرها المتلاطمة فتحت (دينا) الباب ، ورفعت عينيها الملونتين من خلف نظارتها الطبية ، فقط لتدرك الخدعة ..

لكن بعد فوات الأوان ..

للحظة لمحت امرأة شقراء ترتدى الجينز الضيق وقطعة علوية ضيقة من طراز (المعدة) التى تكشف عن البطن والسرة ، وللحظة أخرى لمحت ابتسامتها الصفراء ذات المغزى الواضح للضرير ، وللحظة ثالثة -وأخيرة - أدركت كم الأخطاء التى وقعت فيها ..

أولاً : لم تنظر من العين السحرية للباب ..

ثانيًا : لهجة المتكلمة لاتصلح أبدًا لعاملة خدمة غرف فى فندق باكستانى ، وإنما لبطلة من بطلات المسلسل الأمريكى الأشهر (أصدقاء) !

ثالثًا : الرسائل الخاصة للنزلاء فى فنادق النجوم الخمس لاينقلها عمال الغرف ، بل يتركها المرسل لدى موظف الاستقبال ريثما يهبط النزيل ليتسلمها بنفسه ، وفى الحالات الضرورية يتصل الموظف بالنزيل فى غرفته عن طريق شبكة الهاتف الداخلية ..

المحصلة : صفر من عشرة وهزيمة نكراء ..

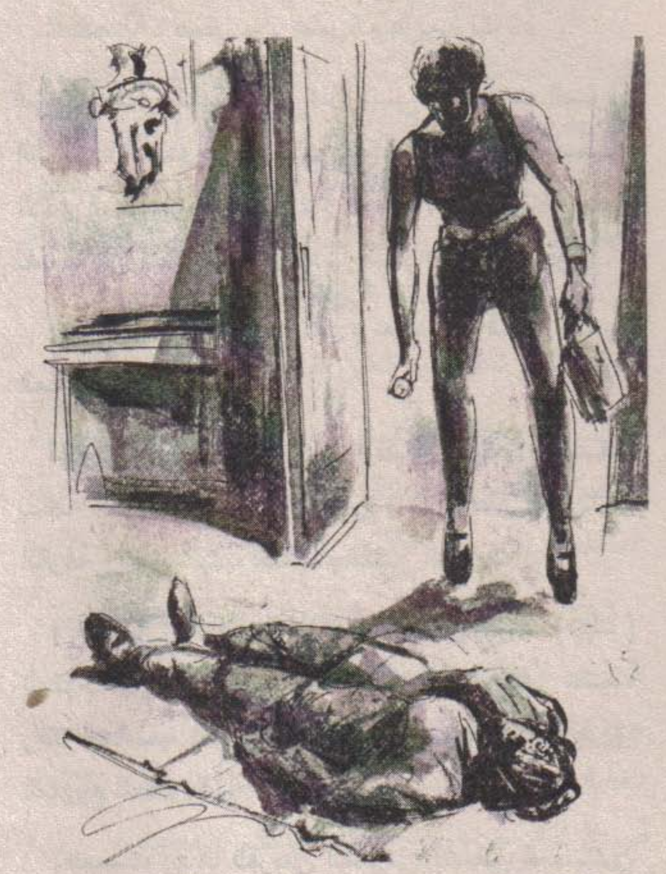
فى اللحظة التالية تم كل شىء ، نثرت المرأة الشقراء مسحوقًا ذهبيًا فى وجه (دينا) ، فأغمضت الأخيرة عينيها بحركة لا إرادية ، ولم تستطع منع نفسها من استنشاق قدر يسير للغاية من المسحوق ..

وقبل أن تفتح عينيها كان وعيها قد فارق قشرة المخ ..

تهاوت (دينا) ساقطة فوق أرضية الغرفة ، واتسعت بسمة المرأة وازدادت اصفرارًا وهى تخطو إلى داخل الغرفة وتغلق الباب خلفها بمنتهى البساطة ..

وبمنتهى البساطة أيضًا خطت فوق جسد (دينا) المكوم فوق الأرض ، واكتست ملامحها بالظفر عندما رأت الحاسب النقال المفتوح ، والموصّل بالطريق السريع للمعلومات ..

تحسست بيدها القرص الضوئى الصغير المستكين



تهاوت (دينا) ساقطة فوق أرضية الغرفة ، واتسعت بسمة المرأة وازدادت اصفرارًا وهى تخطو إلى داخل الغرفة ..

فى جيب بنطالها ، ودون أن تضيع الوقت جلست أمامه ..

وبدأت العمل ..

* * *

بمجرد اقتحامه لغرفة مكتبه ، وجد العميد (منصور حرب) أحد معاونيه المقربين يعمل على حاسبه الآلى الضخم ..

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيادة العميد ..

قالها المعاون الشاب وهو ينهض مفسحًا المجال للعميد (حرب) ، فهتف الأخير دون أن يجلس أو حتى يغلق باب غرفته خلفه :

ـ وصلت من (باريس) منذ أقل من ساعة ، فما الذى حدث لتستدعينى بهذه السرعة ؟!

اكتسى وجه المعاون بجدية رهيبة وهو يقول :

ـ آسف لأن أخبرك يا سيدى بأننا على شفير كارثة ..

صفق العميد (حرب) الباب من خلفه زاعقًا :

ـ ماذا حدث ؟! تكلم دون مقدمات ..

قال المعاون مشيرًا إلى الحاسب الآلى، وهو يغمض جفنيه فى أسى :

ـ لقد أصيب النقيب (عمر زهران) يا سيدى ..

صرخ العميد (حرب) كأنما أصابته صاعقة :

ـ ماذا ؟! أين وكيف ؟!

وفى أقل من لمح البصر كان يجلس أمام شاشة الحاسب الآلى ، متابعًا ببصره آخر التقارير ، ومستمعًا إلى معاونه الذى استطرد :

ـ فى (إسلام آباد) ، كان يغادر المطار عندما صدمته سيارة مسرعة !

اتسعت عينا الرجل وهو يتابع السطور فوق الشاشة ، وغمغم مصعوقًا :

ـ رباه !

قال المعاون الشاب مهونًا :

ـ لحسن الحظ الحالة شبه مستقرة يا سيدى ، لا توجد كسور أو مضاعفات ، ومجرد اشتباه تقليدى فى ارتجاج دماغى وغيبوبة لن تستمر طويلاً ..
(اشتياق) كان بجواره وحمله على الفور لأقرب مستشفى ، وهويته كصحفى برازيلى تقوم بدورها فى التغطية على أكمل وجه ..

تمالك الصقر العجوز نفسه بصعوبة ، وتساءل لاهثًا :

ـ وماذا عن السيارة ؟!

تنحنح المعاون وتساءل بدوره مستفهمًا :

ـ أى سيارة يا سيدى ؟!

هتف العميد (حرب) فى عصبية أفقدته الحِلم :

ـ السيارة التى صدمته !

أسرع المعاون يقول تحاشيًا لمزيد من الغضب :

ـ فى الحقيقة المعلومات التى وردت إلينا عنها تثير الريبة .. سيارة (مازدا) قديمة بلا لوحات رقمية وزجاج قاتم لايكشف عمن داخلها ..

ـ حادث مدبر إذن !

قالها العميد (حرب) وعيناه تلتهمان التقارير وصور التحليلات الطبية الخاصة بـ (عمر) قبل أن يضيف مغمغمًا :

ـ ... إنهم يعرفون كل شىء، ويكادون يعدون علينا الأنفاس نفسها ..

أراد المعاون أن يسأله عن ماهية ضمير الغائب فى حديثه، لكنه آثر إمداده بمعلومة غير ذات أهمية :

ـ هذا ما قاله (اشتياق) وما أدلى به الشهود العيان للشرطة ياسيدى ..

اطمأن الرجل على حالة تلميذه الذى أنقذته العناية الإلهية من إصابات جسيمة، لكن هذا لم يمنعه من أن يغمغم وهو يمسك رأسه بكفيه كأنما يقاوم ألمًا خفيًا :

ـ معنى هذا أن العملية تنتهى قبل حتى أن تبدأ ..

تنحنح المعاون وألقى بقنبلته الثانية قبل أن تنطفئ نيران الأولى :

ـ و(دينا واصف) أيضًا ..

رفع العميد (حرب) رأسه ليسأل محتدًا :

ـ ماذا عنها ؟!

ـ لانعلم على وجه اليقين ياسيدى ..

قالها المعاون لكنه لم يفلح فى السيطرة على حدة الصقر العجوز، التى تعالت وهو يقول :

ـ ماذا يمكن أن يعنى قولك هذا ؟!

زفر المعاون فى ضيق مكبوت، واستطرد ثانية :

ـ منذ أن أتانا نبأ ما جرى للنقيب (عمر زهران) ونحن نحاول الاتصال بها دون جدوى، هاتفها المحمول لا يرد، ولم نجدها حاضرة على أى من قنوات الاتصال المشفرة الخاصة بنا كما يفترض، نحن الآن فى سبيلنا لتحرى ما يجرى فى غرفتها، لكننا فى حاجة لبعض الوقت فحسب ..

تجمدت ملامح العميد (حرب) وهو يقول :

ـ لا يمكن أن يكون ما يجرى خيرًا أبدًا ..

قال المعاون وهو ينظر فى ساعته :

ـ ليس أمامنا إلا الأمل يا سيدى، إنها السادسة بعد الظهر هناك الآن ..

تجاهل العميد (حرب) قوله وعاد يغمغم :

ـ ليس ما يجرى هناك بخير أبدًا !

ونهض على الفور من جلسته أمام مكتبه، وقبل أن يغادر الغرفة سأله المعاون :

ـ إلى أين يا سيادة العميد ؟!

قال العميد (حرب) وهو يقبض على مزلاج الباب بقوة، مستعيدًا نبرته المتماسكة :

ـ وافنى بالمستجدات أولاً فأولاً على الخط الساخن ..

وفتح الباب متابعًا :

ـ ... ستجدنى فى القسم العلمى بصحبة الدكتور (مؤنس) ..

ـ هل من ملاحظات يا سيدى ؟!

قال العميد (حرب) :

ـ ليس أكثر مما قلت بالنسبة لك، أما فى القسم العلمى فلى ملاحظات جمة ..

وأغلق خلفه الباب فى عنف ..

★ ★ ★

٤ـ قنبلة قذرة !

كان يعزف على قيثارة أسفل شرفتها ، وصوته ينطلق بلحن عذب ..

علمنى حبك أن أحزن ..

وأنا محتاج منذ عصور لامرأة تجعلنى أحزن ..

وكانت تنظر إليه من أعلى بعينين ملونتين من خلف منظار طبى !

فجأة ، صهل خيل قريب وبرز من قلب الظلام والضباب صقر عجوز ، سلمه الحصان وأشار باتجاه دائرة النيران ، ومع وقع السنابك علا مثار النقع وامتشق حسامه ليخوض غمار الوقيعة ويغشى الوغى !

خيول كثيرة تقترب منه ، وهو وحيد فى يده سيف من خشب ..

(عزرا أهارون) يضحك فى شماتة ..

(مادلين تشايمر) تلمع عيناها فى ظفر ..

خصوم رآهم وقاتلهم يضيقون الدائرة الجهنمية من حوله ..

حتى يسقط أعزل ، ويتراءى له فى السماء المظلمة شخص يعرفه ..

أبوه ، العقيد (فهمى زهران) فى رداء أبيض يتطاير مع الهواء ، يمد له يده بابتسامته التى تزين الصورة الكبيرة فى الصالة ، وتكاد الأكف تتلامس ..

عندما ...

ـ أين أنا ؟!

فجأة استيقظ معتدلاً فى سريره ليهتف بها دون وعى ، العرق ينزّ من مسامه ويغطى رأسه الحليق وملامحه المرهقة ، والموجودات من حوله تتراقص كشياطين فى حفل زار !

ـ لقد أفقت إذن يا رفيق ..

التفت إلى جواره بغتة ، وضيق عينيه ليرى أوضح ، وبسرعة بدأ عقله ينتعش ..

هذا هو (اشتياق أحمد) ، وهو فى (كشمير) .. كلا ، كلا .. فى (إسلام آباد) ما زال ...

- ... إنها لمعجزة أن تظل على قيد الحياة يا صديقى !

تذكر (عمر) كل شىء دفعة واحدة ، حتى اللحظة الأخيرة التى صدمته فيها السيارة المسرعة ، وشعر بطاقة غريبة تسرى فى عروقه كأنه لم يكن عليلاً منذ لحظات ..

- إننى فى مستشفى ..

قالها وهو يجول ببصره فى أنحاء الحجرة الواسعة ، الحوائط النظيفة والسرير المنسق والرداء الواسع الذى ألبسوه إياه فور دخوله ، إبرة المحلول

فى ساعده الأيسر والعقاقير المتراصة على الخوان بجواره ، رائحة المطهرات والأدوية ، و ...

من هذا ؟!

- ليس استنتاج هذا بصعب يا صاح ، أين يمكن أن يرقد من أصيب فى حادث تصادم ؟!

مدينة الملاهى ليس مكانًا مناسبًا بالتأكيد ..

قالها (اشتياق) ضاحكًا ، بينما كان (عمر) يحدق مستغربًا فى الرجل ذى الملامح الغريبة ، الجالس على الجانب الآخر من السرير ..

ملامحه غريبة فعلاً وغير متسقة ، أنف كبير وفم صغير ووجه مثلث قاعدته لأعلى ، العينان مختبئتان خلف منظار شمسى - برغم أن الليل قد بدأ يزحف على حقول السماء كما يظهر عبر النافذة - ورأسه مغطى بقبعة من الطراز الفرنسى الشهير ، ثم هذا

المعطف الصوفى الأسود الثقيل برغم أن صقيع الشتاء قد رحل ، كل هذا غريب فعلاً ..

والأغرب ، صمته كجلمود من الصخر !

نظر (عمر) إلى (اشتياق) فى تساؤل ، فأجابه الأخير وقد أدرك ببداهته مغزى السؤال :

ـ ... هذا واحد من أصدقائكم ياسيدى ، ولولاه لما أفقت من غيبوبتك الآن ..

قطب (عمر) وسأله :

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ أعنى أنه حضر قبل دقائق وحقنك بمادة ما جعلتك تفيق على الفور ..

نظر (عمر) إلى الرجل الصامت فى استكانة ، والذى لم يفلح الحوار مع (اشتياق) فى جعله ينطق بحرف واحد ، وكاد يسأله عن هويته قبل أن يقول (اشتياق) متابعًا :

ـ ... وبرغم محاولتى المستميتة فى الاستعلام عن هويته ، إلا أنه لم ينطق بحرف واحد منذ مجيئه !

راود الشك (عمر) وهو يرمق الرجل بعينين تضيقان ، فما كان من الأخير إلا أن نهض ومد يده فى جيب معطفه الداخلى ، ليخرجه بهاتف نقال من الجيل الثالث ويمد يده به إلى (عمر) الذى تردد لحظات قبل أن يتناوله مذهولاً ، ومتحاشيًا النظر إلى انعكاس صورته فوق زجاج النظارة الداكن ..

نظر (عمر) فى شاشة الحاسب الكبير نسبيًا لفترة ، قرأ خلالها كلمات الرسالة المطلة من خلالها :

اتصل بالرقم التالى .... فور أن تفيق ...

وببطء ضغط أزرار الهاتف ، ليأتيه صوت أستاذه فى النهاية :

ـ لقد أفقت إذن ..

ـ الصقر العجوز ؟!

هتف بها (عمر) ، لكن الموقف لم يكن يحتمل إلا الجِدية والعملية والتقريرية المطلقةِ ، من وجهة نظر العميد (منصور حرب) على الأقل ..

- اسمعنى جيدًا يا فتى فليس أمامنا وقت لنضيعه ..

نظر (عمر) فى ساعة الحائط ليراها تتجاوز الثامنة بقليل ...

- ... هناك من كشفوا أمرنا من بداية اللعبة ، فى الغالب هم من تسببوا فى إثناء عميلنا البلغارى عن إتمام المهمة ، وفى كشف أمر (نادر) داخل (كشمير) ، وفى إصابتك أمام المطار بسيارة خصصت لهذا الغرض ، وفى اختفاء (دينا) من غرفتها بالفندق الذى ...

صرخ (عمر) مصعوقًا :

- ماذا ؟! (دينا) اختفت ؟! كيف يمكن أن ...

أسكته صوت العميد (حرب) ولهجته الصارمة :

- قلت لك اسمعنى جيدًا فالوقت أضيق من ضيق .. أنت البطاقة الأخيرة الباقية لدينا ، نقيب (عمر) ، لذا خذ الحذر وراقب خطواتك جيدًا حتى لايحدث أى خطأ فنحن نراهن بك على بقاء الجميع ..

نظر (عمر) إلى الرجل الصامت بجواره وبدأ عقله يستوعب الأمر شيئًا فشيئًا ، وكأنما كان العميد (حرب) يراه فقد انطلق يقول :

- ... لقد أرسلنا لك بأحد أهم عملائنا فى (آسيا) كلها ، وهو عبقرى بكل ماتحمله الكلمة من معان .. ستفهم وحدك معنى هذه الكلمة فى أثناء عملك معه ، فقط حاول أن تتعامل مع كونه صوتًا لايتكلم إلا فى أضيق الحدود .. يمكنك أن تناديه بالسيد (روب) !

حتى اسمه غريب كهيئته ، هكذا فكر (عمر) بينما تابع العميد (حرب) :

- ... لحسن الحظ كانت إصابتك بسيطة ، مجرد سحجات وكدمات فى غير موضع ، لذا أرسلنا إليك

(روب) بعقار خاص تم تصنيعه فى القسم العلمى بالمكتب (١٧) ليساعدك على الإفاقة السريعة ويمنحك طاقة للتعامل مع الوضع الحرج الذى نكابده الآن ..

هتف (عمر) وقد تألقت عيناه :

ـ أشعر بأننى كتلة من الحيوية المتوهجة ياسيادة العميد ..

ـ هذا مطمئن إلى حد كبير ..

سأل (عمر) وهو يختلس النظر إلى (روب) الواقف فى الجوار كالصنم :

ـ وهل سأعمل تحت إمرة السيد (روب) من الآن أم ماذا ؟!

أتاه الجواب :

ـ ليس صحيحًا .. ستعملان أنتما الاثنان تحت إمرتى المباشرة عبر هذا الخط الساخن ، ولن أبرح

غرفة العمليات حتى تنتهى هذه العملية على خير بإذن اللّه ..

أزاح (عمر) الغطاء من فوقه ، وقفز واقفًا يشعر بأنه خفيف كفراشة ، ثم سأل أستاذه عبر الهاتف :

ـ وماذا عسانا نفعل الآن ؟!

أتاه الجواب :

ـ تتجهان على الفور إلى (شيراتون إسلام آباد) ومعكما (اشتياق) .. وافونى بتقرير مفصل عن حجرة (دينا) ، فقد أبلغنى رجالنا بأنها غير موجودة فى حجرتها لكن أحدًا لم يفحص المكان بعد ..

اعتمد علىّ ياسيادة العميد ..

قالها (عمر) ، ثم أردف مصححًا وهو يختلس نظرات أخرى إلى (روب) :

ـ ... أعنى ، يمكنك الاعتماد علينا ..

ـ هيا يا (عمر) ، يكفى ما ضاع من الوقت .. وسأكون فى الانتظار ..

أسرع (عمر) يبدل ملابسه ، وبينما كان (اشتياق) يغمغم بينه وبين نفسه ـ بشىء من الاستياء ـ مثلاً محليًا دارجًا يقول :

ـ « اثنان صحبة ، والثالث دخيل دوماً ! » ...

... كان (روب) يغرق فى مزيد من الصمت الجميل ..

والسكون البليغ ..

* * *

نظر (عمر) إلى الحاسب الآلى النقال المغلق مليًا ، قبل أن يغمغم قائلاً :

ـ كما توقعت ، الحاسوب مغلق والاتصال بالإنترنت مقطوع ..

وبينما كان يفتح الجهاز من جديد ويعيد توصيله بالمنفذ السايبرى ، سأله (اشتياق) وهو يهرش فى لحيته الكثيفة :

ـ هل تعتقد أن هذا تم بفعل فاعل ؟!

قال (عمر) فى جدية وهو يعمل على الحاسوب بأصابعه :

ـ ليس مجرد اعتقاد .. تستطيع القول بأنه يقين راسخ كالطود !

نظر (اشتياق) فى شفقة إلى أصابع (عمر) التى تعمل على لوحة المفاتيح فى بطء وتثاقل مرتبك ؛ وشيا بقلة خبرة وضحالة ممارسة ، لكنه أيقن بينه وبين نفسه أن الرجل يحاول أن يفعل أفضل ما يمكن فعله ، فحول بصره إلى السيد (روب) الذى أقعى أمام الباب الموصد للغرفة ، منكبًا على شىء ما يجهله ولا يستطيع رؤيته إذ أعطاهما الأخير ظهره ..

تمتم بينه وبين نفسه بمثل دارج آخر مفاده أن :

ـ « احذر الانطوائى ، فهو خطير بالفطرة ! »

ثم عاود النظر نحو (عمر) الذى ابتسم فى ظفر عندما علت صورة العميد (منصور حرب) شاشة الحاسب الآلى النقال ، وهتف فى نشوة طفولية :

ـ ... فعلتها أخيرًا ..

قال العميد (حرب) بملامح متجهمة ناسبت خطورة الموقف :

ـ ليس الولوج إلى هذه القناة إنجازًا لو كنت تقصد هذا ، نقيب (عمر) !

قال (عمر) فى شىء من الحرج :

ـ المسألة نسبية تمامًا يا سيدى ..

سأله الصقر العجوز :

ـ كيف الحال عندك ؟!

مط (عمر) شفتيه ممتعضًا ، وقال مغالبًا قلقه الهائل على (دينا) :

ـ من جهتى لم أجد شيئًا ذا بال ، الغرفة مرتبة وكل شىء فى موضعه مما ينفى استخدام العنف ، الحاسب الآلى كان مغلقًا والاتصال بالإنترنت كان مقطوعًا كما حدست منذ البداية ، والهاتف النقال عليه عشرات المكالمات المفقودة من رقم الإدارة !

ـ هذا عنك ، ماذا عن (روب) ؟!

أشار (عمر) بإبهامه إلى الخلف ، وأجاب فى لهجة أكثر امتعاضًا :

ـ لم ينطق بحرف حتى الآن ، ومنذ أتينا وهو يحاول أن يكتشف شيئًا مختبئًا عند عتبة الباب !

لاح شبح ابتسامة فوق وجه العميد (حرب) وهو يقول :

ـ لقد عثر على شىء ما بالفعل ..

سأل (عمر) فى استفهام خالطه استنكار :

- أى شىء هذا ؟!

قال العميد (حرب) مستعيدًا سمته الجاد الوقور :

- المادة التى تم تخدير (دينا واصف) بها قبل اختطافها فى الغالب ، رذاذ ذهبى اللون تناثرت بقاياه فوق أرضية الغرفة أمام الباب ..

نهض (روب) وهو يفرك المادة بين أصابع يده ، وسأل (عمر) أستاذه مبهوتًا :

- كيف عرف ذلك ؟! وكيف أبلغكم به وهو معنا لحظة بلحظة ؟!

- إجابة السؤال الأول بسيطة ، السيد (روب) نابغة كما أخبرتك ..

وتنهد العميد (حرب) ثم أكمل :

- ... أما عن السؤال الثانى فإجابته أكثر بساطة ،

إن لنا وسائل خاصة جدًا فى الاتصال والتواصل مع السيد (روب) .. لا تشغل نفسك بهذا الأمر الآن ..

استعصى الأمر على فهم (عمر) ، وجمد للحظات عمل فيها عقله بأقصى طاقاته دون جدوى ، حتى غير العميد (حرب) مسار الحوار :

- ... المهم أن هذا يثبت نظرية اختطافها ، واكتشافنا منذ البداية ..

هز (عمر) كتفيه وتساءل مكفهرًا :

- وما الذى يمكن أن يضيفه هذا ؟!

- الكثير يا فتى .. هلا نهضت من أمام الحاسوب وتركته للسيد (روب) الآن ؟!

وجد (عمر) (روب) واقفًا بجواره فجأة ، فتنحى عن مجلسه مفسحًا له المجال ، وشعر بالتضاؤل أمام مهارة أصابع (روب) فى التعامل السلس والسريع مع الأزرار والبيانات ، ولعله لمح شيئًا يشبه هذا

الإحساس فى عينى (اشتياق) ، لكنه تجاهله وأنصت لكلمات العميد (حرب) التى استمرت تنهال عبر فضاء السايبر :

- ... إن هناك من يلاعبنا ، نقيب (عمر) .. وقواعد اللعب تفترض أن يترك لنا الطرف الآخر ما يدل عليه أو على خطوته القادمة ، إننا ننتظر اتصاله بنا فى أى وقت ، وربما يكون هذا قد تم بالفعل !

تساءل (عمر) مستغربًا :

- كيف ؟!

- بأن يترك لنا رسالة على قرص الحاسوب الصلب ..

- هذا وارد ولكن ...

قاطعه العميد (حرب) :

- صه .. لقد عثر السيد (روب) على شىء ما !

وقبل أن يسأل (عمر) نفسه كيف عرف العميد (حرب) هذا ، انطلقت شاشة الحاسوب تعرض ملفًا

مصنوعًا بتقنية (الفلاش) العالية الجودة ، يصور وجه (نادر الشريف) متداخلاً مع رقم (واحد) باللاتينية ، ثم تبرز خريطة عليها بقعة صغيرة حمراء متداخلة مع أرقام لاتينية فى عد تنازلى ينتهى بانفجار الخريطة مع بروز كلمة لاتينية معناها (قنبلة قذرة) تضىء وتنطفئ على الشاشة ، كل هذا مع موسيقى ذات إيقاع غربى لاهث ومؤثرات صوتية موحية ، كأنه فيلم كارتونى قصير مصنوع بطريقة (الكولاج) !

وانعقدت الألسنة ، فالرسالة كانت واضحة للغاية ، لا يوجد تعليق يناسبها .. أو يناسب خطورتها !

* * *

مسح الدكتور (مؤنس) قطرات العرق فوق وجهه بمنديله القماش ، وسأل مجاهدًا للسيطرة على ارتجافه كالمحموم :

- أواثق أنها بخير ، عميد (حرب) ؟!

قال العميد (حرب) وهو يعلم تمامًا عمن يسأله :

ـ لقد حادثتها بنفسى منذ قليل ..

ابتلع (مؤنس) ريقه بصعوبة ، وقال فى النهاية متظاهرًا برباطة الجأش :

ـ ليكن .. عم كنا نتحدث ؟!

ـ القنبلة القذرة ..

ـ أجل .. أجل ، كنت تسألنى عن ماهيتها !

وفسر بعد أن نجح فى استجماع شتات أفكاره ، مستطردًا :

ـ ... فى الحقيقة ، القنبلة القذرة سلاح فتاك يصنفه البعض ضمن أسلحة الدمار الشامل لو صمم على هذا الأساس .. والقنبلة نفسها فكرتها بسيطة للغاية لكنها عميقة فى بساطتها ، وتقوم على أساس استخدام المخلفات الإشعاعية النووية كوقود يتم توصيله بمادة مفجرة بسيطة مثل البارود أو

الـ (تى . إن . تى) ، وبهذا يمكن الحصول على قنبلة نووية حقيقية باستخدام بقايا أجهزة المسح الذرى الطبية مثلاً ، ومن هنا جاءت التسمية بـ (القنبلة القذرة) ..

سأل العميد (حرب) :

ـ وهل يمكن أن يستخدم (البلوتونيوم) الخام لصنع قنبلة كهذه ؟!

هز (مؤنس) رأسه بالإيجاب فى قوة ، وقال :

ـ بالطبع .. وستكون قنبلة شديدة التفجير قادرة على إبادة منطقة كاملة بمساحة (كشمير) من الوجود كلية !

غمغم العميد (حرب) فى غيظ :

ـ إنهم يلعبونها بمنتهى القذارة هذه المرة ..

قال (مؤنس) دون أن يفلح فى حذف نبرات الهلع من كلماته :

ـ لقد درست ملف (الفلاش) بنفسى ، عميد (حرب) .. وتوصلت لعدة نتائج مهمة ، أولها أن رقم واحد يعنى وجود أكثر من قنبلة قذرة ..

تراجع العميد (حرب) فى مقعده ليقول :

ـ هذه يسهل استنباطها ، فى الغالب تم تقسيم شحنة (البلوتونيوم) على عدة قنابل وضعت فى عدة أماكن داخل (كشمير) .. إنهم يلعبون معنا لعبة القط والفأر ، وفى الحقيقة هم يمارسون دور القط على الوجه الصحيح حتى الآن ..

قال (مؤنس) ومازال الهلع معتليًا حنجرته :

ـ النتيجة الثانية أيضًا يسهل استنتاجها ، عميد (حرب) .. الخريطة فى الملف هى خريطة (كشمير) القديمة قبل التقسيم ، والنقطة الحمراء هى نقطة وجود القنبلة أو (نادر) أو الاثنين معًا .. نحن الآن نجرى عملية مضاهاة بين خريطة تحوى إحداثيات دقيقة للمنطقة وهذه الخريطة لنصل إلى

الموقع المحدد بدقة .. سيستغرق الأمر بعض الوقت نظرًا لسرعة المعالجات التى نعمل بها ها هنا فى الإدارة ، لكن .. لنأمل أن نصل للنتيجة المرجوة فى الوقت المناسب ..

غمغم العميد (حرب) فى رجاء :

ـ رجالنا الآن فى الطريق إلى (كشمير) ..

ارتجفت نبرات (مؤنس) وهو يقول :

ـ حسنًا فعلوا ، فالنتيجة الثالثة خطيرة للغاية ، وهى تتعلق بالوقت المناسب الذى أحدثك عنه ..

نظر إليه العميد (حرب) فى صمت واهتمام بالغ ، فابتلع الرجل ريقه مجددًا قبل أن يدلى بما لديه :

ـ ... العد التنازلى الموجود فى الملف لم يوجد اعتباطًا يا عزيزى .. لقد أخضعته لعدة برامج حسابات منطقية معقدة ووصلت إلى النتيجة المتوقعة ، ألا وهى زمن انفجار القنبلة القذرة المحدد سلفًا ..

واتسعت عينا العميد (حرب) مع كلمات (مؤنس):

ـ ... ودون الخوض فى تفاصيل رياضية مرهقة، فالباقى من الزمن قليل للغاية يا سيادة العميد ..

وألقى الرجل بنتيجته الثالثة، والأخيرة:

ـ ... أقل من نصف الساعة!

★ ★ ★

٥ ـ ليلة أخرى ..

شقت المروحية سماء الليل متجهة نحو سلسلة (الهملايا)[*] العظمى المترامية من بعيد، وقد بدأ القمر يتآكل من أحد جانبيه إيذانًا برحلة الزوال المحاقية ..

ـ ترى ما الذى لا يجيده صاحبك هذا ؟!

همس بها (اشتياق) لـ (عمر) وهو يرمق السيد (روب) الذى جلس بنفسه على مقعد قيادة الطائرة متحكمًا فى الأجهزة المعقدة أمامه بكل مهارة وهدوء، دون أن يتخلى عن نظارته الشمسية أو صمته الأبدى!

ـ إننى مندهش أكثر منك ..

(★) تعنى الكلمة (موطن الجليد) بالسنسكريتية، وتطلق على سلسلة جبال آسيوية شهيرة تمتد داخل الهند وباكستان وكشمير والتبت والصين ونيبال، وتحتوى على ثلاث سلاسل متوازية: الهمالايا الكبرى وبها جبل (إفرست) أعلى قمم العالم، والهمالايا الصغرى الذى يحتضن وادى كشمير، والهمالايا الخارجية، وينبع منها عدة أنهار كبرى ..

قالها (عمر) متنهدًا وهو يحكم وضع المظلة المطوية فوق ظهره ، ويختبر متانة الأربطة والحبال حول جذعه ، ثم أتبع بقوله وهو يطمئن إلى أماكن الأسلحة المخبأة داخل ردائه الأسود :

- ... ومازلت أجهل سبب تأخر العميد (حرب) فى الاتصال حتى الآن ..

وكأن الرجل كان يسمعه عبر الأميال البعيدة ، رن الهاتف المحمول المتطور فى يد (اشتياق) بمجرد انتهاء العبارة المتوترة ، فمد الأخير يده بالجهاز إلى (عمر) ..

- ليتك قلتها مبكرًا ..

تجاهل (عمر) دعابة رفيقه الآتية فى غير وقتها بالمرة ، إذ تناول الجهاز بلهفة الصب ، وسارع بفتحه ليبدو على هيئة حاسب آلى صغير ، ارتسمت صورة العميد (حرب) على شاشته الزيتية الصغيرة فى حين ارتفع الصوت عبر المجهار :

- جاهز ، نقيب (عمر) ؟!

زفر (عمر) قبل أن يهتف فى ثبات :

- تمامًا يا سيدى ، فى انتظار الأوامر والمعلومات ليس إلا ...

أتاه صوت العميد (حرب) جادًّا بينما تغيرت الصورة على الشاشة بأخرى :

- هذه خريطة (كشمير) ، والخبر الحسن هو أننا نجحنا فى تحديد موقع القنبلة ..

واقتربت الصورة فى (زووم) يتسارع :

- ... وقد أثبتت صورة الأقمار الصناعية أن الموقع هو بحيرة (وولار) عند حدود وادى (كشمير) الشمالية ، القنبلة تقع داخل زورق مستكين فى عرض البحيرة ، وفى الغالب (نادر) أيضًا موجود فى نفس الزورق ، سيتوقف بك السيد (روب) فوق أقرب نقطة للموقع المذكور ..

سأل (عمر) ودقات قلبه تسارع بفعل خطورة ما يقال :

ـ هل أنقل له هذه المعلومات يا سيادة العميد ؟!

ـ لا تشغل نفسك إلا بنفسك ، لقد نقلنا إليه المعلومات التى تهمه بالفعل ..

صمت (عمر) وإن لم يستطع منع نفسه من التعجب ، وتابع العميد (حرب) :

ـ ... نأتى للخبر السيئ ، نقيب (عمر) ..

ـ كلى آذان يا سيدى ..

ـ الوقت ضيق للغاية ..

ـ أى وقت ؟!

ـ أمامك أقل من عشر دقائق يا فتى من الآن قبل أن تنفجر القنبلة !

ـ القنبلة القذرة ؟!

ـ هى بعينها ، عشر دقائق فقط وتنفجر كارثة نووية لا يعلم إلا اللّه وحده ماذا يمكن أن يكون مداها ؟!

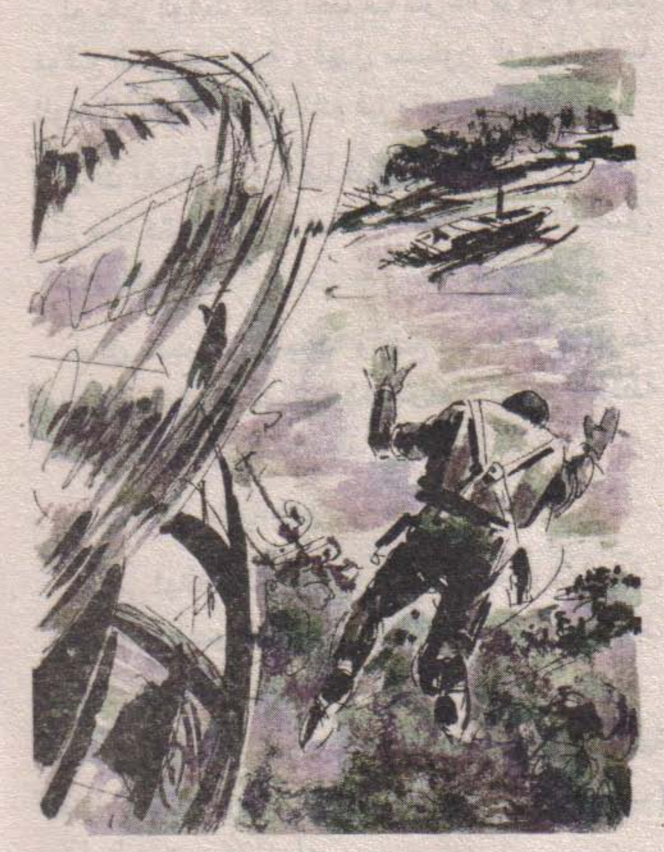
ـ شهق (عمر) واتسعت عيناه رعبًا ، قبل أن يهتف :

ـ ضيق للغاية حقًّا !

ـ لا تضيّع منه ثانية إضافية إذن ، لقد وصل السيد (روب) إلى النقطة المتفق عليها ، وعليك أن تقفز فى الحال ..

ألقى (عمر) بنظرة أخيرة نحو السيد (روب) متسائلاً فى أعماقه عن وسيلة الاتصال الغامضة التى تلجأ إليها الإدارة معه ، ووجده فى نفس جموده أمام المقود ، ثم حدج (اشتياق) بنظرة قبل أن يقول :

ـ بإذن اللّه يا سيدى ..



ودون إضاعة ثانية إضافية كما أمر العميد (حرب) ، قفز (عمر) فى الهواء ..

وناول رفيقه الهاتف المتطور ، قبل أن يفتح باب الطائرة فى قوة لتهاجمه ريح جبلية قوية ، ونظر إلى الأسفل ليرى البحيرة ، تتراقص فضة القمر فوق صفحتها الناعمة ، والزورق / الهدف يتراءى ضئيلاً للغاية كطفل نائم ..

ودون إضاعة ثانية إضافية كما أمر العميد (حرب) ، قفز (عمر) فى الهواء ..

حمله الهواء فى أحضانه الشاسعة ودغدغ السقوط نهايات الأعصاب فى جلده ، سقط لمسافة محسوبة قبل أن يجذب حبلاً متدليًا خلف ظهره ، فانفتحت المظلة وأصبح السقوط أرجوحة بطيئة يتدلى منها شخص يرتدى السواد ..

نظر (عمر) فى ساعته ، فاتت دقيقة وبقيت تسع دقائق ، وهو يسقط فوق البحيرة رأسًا لكن الريح تدفعه فى حنو إلى الغابة القريبة ، فى ذلك الوادى الضيق الواقع بين جبلين عاليين ..

لم يكن الوقت كافيًا لحساب سرعة الريح وتحديد موقع السقوط بدقة ، فهل سيكون الوقت كافيًا للوصول إلى الزورق النائم فى منتصف البحيرة ؟!

مرت دقيقة أخرى سقط فيها بين شجرتين ، وظل متأرجحًا كالمشنوق إذ انحشرت المظلة بين الأغصان المتشابكة ..

استل خنجرًا من جيبه وقطع الحبال فى سرعة ليتهاوى فوق الحشائش الخضراء ، آلمته السقطة لكنه تحامل على نفسه واقفًا ونظر فى ساعته ..

سبع دقائق باقية فقط ..

تناسى لهاثه وطفق يركض بين الأشجار والحشائش والصخور نحو البحيرة ، الوقت يمضى كأنه خيل جامح عندما لا نريده أن يفعل ..

تناسى صفير الريح وحفيف الأشجار وهسهسة حشرات الليل من حوله وعدا مثل (فورست جامب) ـ أو أسرع ـ حتى رآه ..

كان يقف عند ضفة البحيرة كأنه ينتظره ، عيناه المسحوبتان تلمعان واللعاب ينز من أنيابه الحادة بينما زمجرته تعلن عن معدة أضناها الجوع ..

توقف (عمر) لاهثًا وقد أدرك أن الوقت لم يصبح هو العقبة الوحيدة ..

هناك أيضًا نمر جبلى أبيض مشدود العضلات .. وجائع ..

* * *

ـ لم يصلوا بعد يا حبيبى ؟!

ـ ليس بعد يا حلوى القلب !

ـ بقيت دقائق قليلة ..

ـ لنرى إن كانوا سيفعلونها فى اللحظات الأخيرة كعادتهم هذه المرة أيضًا أم لا !

ـ أخشى إن حدث الانفجار أن ينالنا أذى ..

ـ لاتخشى شيئًا ، لقد وضعت كل الاحتمالات الممكنة فى الحسبان ..

ـ بدأت إذن فى تجهيز قنبلتنا الثانية ..

ـ لقد جهزتها بالفعل ..

ـ حقًّا ؟! أين ؟!

ـ فى أحضان الأسيرة !

* * *

بقيت دقائق ست !

استل (عمر) على الفور خنجره وصوبه فى دقة نحو النمر الأبيض ، لكن الأخير ـ ببصره الحاد حتى فى أحلك الظلمات ـ قفز متجاوزًا إياه ، ليطيش السهم وتعود المواجهة بين إنسان وحيوان مفترس ..

استند النمر على قائمتيه الأماميتين ، وفى بطء اقترب من (عمر) ، الذى تراجع مفكرًا فى ما يمكن فعله الآن ..

لكن النمر الأبيض لم يمنحه هذا الترف ، فقد قفز نحوه فجأة شاهرًا مخالبه وأنيابه وزائرًا فى وحشية ..

حاول (عمر) أن يتفاداه بسرعة ، لكن المخالب خمشت صدره وذراعه الأيمن ، وسقط على الحشائش بينما ارتد النمر إلى الخلف إثر لطمة منه ..

هيجت رائحة الدم غريزة النمر الافتراسية ، فعاد يقفز نحو (عمر) المستلقى على ظهره وهو يزأر بقوة أكبر ، لكن (عمر) تدحرج على جنبه وهب واقفًا ..

وعادا يتواجهان مجددًا ..

بات من الجلى أن النمر ثائر حقًّا ، وأن روح المطاردة تتعاظم فى أعماقه التواقة إلى وجبة شهية ، فوثب مرة أخرى نحو (عمر) ..

كان الأخير قد نجح فى أن يخرج مسدسه ، لكن ارتطام النمر به طير المسدس من يده ، وأصبح أعزل تمامًا فى مواجهة غريمه المزمجر ..

وفى هذه المرة ، قفز الاثنان معًا ..

قفز النمر نحو (عمر) وقد ظن أنها القفزة الأخيرة نحو الإجهاز على فريسته البشرية والاستمتاع بمذاق لحم جديد ..

وقفز (عمر) ليتعلق بغصن دان ، مستقبلاً النمر بقدميه ومطوقًا عنقه السمين بفخذيه ..

وسقط الاثنان على الأرض معًا ..

(عمر) يعتلى بطن النمر وعضلات فخذه تعتصر الرقبة فى قوة ..

زمجر النمر وانتفض جسده فى مقاومة مستميتة للبقاء ، ورق قلب (عمر) للحظة فكر فيها فى إطلاق سراحه ..

ولكنه أحجم عن التنفيذ ، فبقاء واحد منهما يقضى بالضرورة أن يفنى الآخر ..

قانون الطبيعة القاسى منذ الأزل ..

واستكان جسد النمر فى النهاية بالفعل ، جثة هامدة ..

ثلاث دقائق فقط ..

وقف (عمر) وكل عضلة فى جسده تختلج من فرط المجهود والانفعال ، أرسل بصره نحو الزورق المترائى من بعيد فى منتصف البحيرة ..

هل يمكنه ـ ترى ـ الوصول فى الوقت المناسب ؟!

ليس أمامه حل آخر ..

اخترق المياه بسرعة ثم قفز سابحًا ، احتواه الماء وسامحه على اللطمات المتكررة ، فضرب بيديه وقدميه بكل ما يستطيع من قوة وسرعة ..

مضى وقت أحسه طويلاً ..

وعندما أمسكت قبضته بحافة الزورق ، واعتلاه بمشقة ، نظر فى ساعته ليجد أن أمامه دقيقة واحدة ..

أو أقل قليلاً ..

تماسك ، نظر حوله ، الزورق صغير ومدبب الطرفين ، فى المنتصف تقبع لفافة من النايلون الأسود فى حجم إنسان ، هرع نحوها وسارع بكشفها ..

سقط قلبه فى الماء ..

إنه (نادر) .. (نادر الشرريف) ..

فاقد لوعيه وعلى وجهه ملامح معاناة شديدة ..

الأوغاد !

أين القنبلة إذن ؟!

لمح ذلك الصندوق الخشبى عند طرف القارب الآخر فخف إليه ليرتج القارب كله بفعل حركته ،

احتفظ بتوازنه فى صعوبة ثم نظر إلى داخل الصندوق ..

هذه هى القنبلة القذرة إذن !

أنبوبة اختبار فى داخلها سائل أحمر شبه شفاف ، وبجوارها جهاز مفجر آلى مستمر فى العد التنازلى إلى حد خطر ..

عشرون ثانية ..

كالعادة هناك أسلاك كثيرة ، يمكنك أن تجذب سلكًا واحدًا بطريق الخطأ لتقع كارثة محققة وتتكرر (هيروشيما) فى (كشمير) ..

عشر ثوان ..

أن تكون إلى جوار قنبلة نووية -وإن كانت قذرة- ليس شعورًا جميلاً بالمرة !

خعس ثوان ..

فما بالك وإن كانت على وشك الانفجار ؟!

ثلاث ثوان ..

الحل الأمثل فى موقف معقد كهذا أن ..

ثانيتان ..

... تحمل المفجر بعيدًا عن البلوتونيوم ، وتنهض لتعيد ذراعك إلى الوراء ثم ..

ثانية ..

... تلقى المفجر بعيدًا فى الماء وتنبطح ..

بوووم ..

انفجار مكتوم تحت الماء بسبب قنبلة عادية ، لن ينشأ عنه أكثر من اهتزازات طفيفة للزورق ، ثم النجاة التامة ..

من هذا العبقرى الذى قال يومًا إن البساطة هى أم الجمال ؟!

لكم كان محقًّا !

عاد (عمر) إلى (نادر) ، تأكد من أنه يتنفس ، وأن عروقه تنبض بخفقات الحياة ، حمد اللّه وهو ينظر إلى المروحية التى تحلق فوقه وتدنو منهما فى بطء ..

ثم انتبه إلى القرص الضوئى الصغير ، الذى تم وضعه ـ عمدًا ـ فى جيب (نادر) ..

ترى ، من وضعه ؟!

ولماذا ؟!

* * *

ـ لقد كذبت علىّ ، عميد (حرب) !

قالها الدكتور (مؤنس) ، فى نبرة باكية ، كأنه طفل أشيب الشعر ، فتنهد العميد (حرب) قبل أن يقول مغمضًا عينيه :

ـ أردت أن أطمئنك يا عزيزى لكى تعمل بتركيز أكبر ..

كاد (مؤنس) يبكى بالفعل وهو يقول :

ـ كيف أعمل وأنا على وشك أن أفقد (دينا) ابنة شقيقتى ؟!

طرق العميد (حرب) بأصابعه سطح مكتبه وهو يغمغم :

ـ إننا نعمل ما فى وسعنا لكى نمنع عنها أى خطر !

هتف (مؤنس) فى جزع :

ـ تتحدث وكأنه خطر عادى ، لا قنبلة نووية ..

عاد العميد (حرب) يتنهد ويغمغم :

ـ سننجح فى العثور على الثانية كما حدث فى الأولى بإذن اللّه !

تحول هتاف (مؤنس) إلى زعيق مزعج :

ـ كيف ؟! ونحن نجهل المكان والزمان هذه المرة ؟!

تجاهل العميد (حرب) سؤاله ، وفتح عينيه أخيرًا لينظر إلى شاشة حاسبه الآلى ، وضغط زر تشغيل الملف الذى كان مفتوحًا لتوه ..

ملف الفلاش الذى كان محملاً على القرص الضوئى بجيب (نادر) ..

بنفس الإيقاعات الموسيقية والمؤثرات الصوتية وروح الشكل اللونى ، كان يعرض هذه المرة صورة (دينا واصف) متداخلة مع رقم (اثنين) باللاتينية .. ثم يعرض صورة كارتونية لفندق قديم يدعى (دال) يخرج من بابه هاتف محمول تحمل شاشته رقم (١٢) ، وينتهى العرض كالسابق بانفجار يأكل الشاشة مع سطوع كلمة (قنبلة قذرة) وانطفائها مرارًا وتكرارًا ..

ـ ليس تمامًا يا سيدى (مؤنس) !

قالها العميد (حرب) مضيقًا عينيه فى تفكير عميق ، ثم أردف مفسرًا :

ـ ... نملك مكانًا يدعى فندق (دال) ..

ـ لعلها محتجزة هناك إذن ..

ـ منذ أتت الرسالة ورجالنا يمشطون الفندق فى سرية ، لكنهم لم يعثروا لها على أثر بعد ..

ـ هل من المفترض أن يطمئننى هذا ؟!

سأل (مؤنس) فى استنكار ، فهز العميد (حرب) رأسه نفيًا وقال :

ـ ليس هذا بالتحديد ، لكننا لم نخرج من بحثنا صفر الأيدى ..

هتف (مؤنس) متلهفًا :

ـ عثرتم على خيط يقودنا إليها إذن ؟!

قال العميد (حرب) وهو يقدم كلمة ويؤخر أخرى :

ـ نعم ، يمكننا قول هذا !

ـ أى خيط هذا ؟!

ـ الهاتف المحمول !

سأل (مؤنس) فى غير فهم :

ـ أى هاتف محمول ؟!

أشار العميد (حرب) إلى الشاشة ثم أجاب :

ـ الذى تم عرضه فى الملف ..

ولما لمح أمارات عدم الفهم تزداد على ملامح محدثه ، قال العميد (حرب) مفسرًا :

ـ .... لقد تركوا لنا هاتفًا محمولاً فى صندوق الأمانات رقم (٣٥) بالفندق الواقع فى (سرنجار) داخل حدود (جامو وكشمير) الهندية ، والواضح أنهم سيتصلون بنا على رقمه عندما يريدون هذا !

ـ يا للتفكير الجهنمى ، أى أنه ليس أمامنا حاليًا إلا الانتظار ؟!

ـ تمامًا ..

ـ ماذا لو كانت خدعة ؟!

قالها (مؤنس) متذاكيًا ، فأسكته العميد (حرب) بقوله :

- دلنا على شىء آخر يمكننا فعله ..

صمت (مؤنس) قليلاً ، قبل أن يسأل من باب الاطمئنان :

- ماذا عن (نادر) ؟! كيف حاله الآن ؟! هل عذبوه ونكلوا به و ...

قاطعه العميد (حرب) قائلاً فى نفاد صبر :

- بخير ، نقلناه عبر المروحية إلى (إسلام آباد) ليتلقى عناية طبية مكثفة حتى يفيق من غيبوبته ..

- هذا مطمئن ، عميد (حرب) .. لكن ..

عاد (مؤنس) يسأل وهو يرتعد :

- ... هل عثروا فى جسده على آثار جروح أو حروق أو كدمات أو ...

أجابه العميد (حرب) فى حسم :

- لن أكذب عليك هذه المرة يا عزيزى ..

وارتعد (مؤنس) أكثر وأكثر قبل أن يجيبه (منصور) :

- ... لاتوجد أشياء من هذه ، مجرد أثر لإبرة تم حقن مخدر قوى وطويل المفعول عبرها فى الوريد ، ولاشىء البتة أكثر من هذا ..

تنهد الرجل فى راحة نسبية ، قبل أن يسأل :

- .. وماذا سنفعل حتى يتصلوا بنا ؟!

تراجع العميد (حرب) فى جلسته مجددًا ، وقال بعد أن لامس ظهره المقعد :

- ليس أمامنا الآن إلا الانتظار ، ومحاولة البحث الدءوب عن إجابة السؤال اللغز ..

تساءل (مؤنس) فى اهتمام :

- أى سؤال ، عميد (حرب) ؟!

برقت عينا الصقر العجوز وهو يقول فى عمق :

- من وراء كل هذا ؟!

★ ★ ★

٦ - أول النهار..

من غرفته المطلة على الشارع الترابى الواسع بفندق (دال) ، جلس (عمر زهران) فى ملابس كشميرية يراقب السيارات العابرة من آن لآن مثيرة خلفها عواصف من الغبار ، ثم تململ فى جلسته ورشف من كوب الشاى الثقيل ، وعاد يراقب الشارع بمبانيه الخفيضة القائمة أمام الفندق .. زحام يليق بأول النهار ، أنهار من (التك تك) الذى رأى مثله فى (إسلام آباد) يحمل أناسًا ويهبط منه أناس ، سيارات من كل الأصناف أغلبها نصف نقل للبضائع والتجارة ، الباعة يملئون الشارع حتى الميدان الواسع فى نهايته ، ينادون بلغة غريبة على الفاكهة والخضراوات والأسماك والملابس والقماش والمواد الحديدية والبلاستيكية ، بعضهم فى متاجر مغلقة والبعض الآخر على عربات خشبية رقيقة الحال ..

عاد يتنهد فى ملل ويأتى على آخر رشفة فى كوب الشاى ، والتفت يرمق السيد (روب) بنظرات خاوية ، إذ استغرق الأخير فى العمل على الهاتف النقال الذى وجدوه متروكًا كأمانة فى الخزانة رقم (٣٥) لأول من يسأل عنه ..

عاد ينظر عبر النافذة ، ورأى (اشتياق) يهبط من إحدى دراجات (التك تك) ويدلف ممسكًا بكيس ضخم إلى مدخل الفندق ، وما هى إلا لحظة وأخرى وكان (عمر) يفتح له الباب ..

ـ معذرة يا صديقى ، لم يؤخرنى سوى الزحام ..

نظر (عمر) فى ساعته ، وأغلق باب الغرفة ثم قال :

ـ لا عليك ، لم تغب سوى ساعة واحدة .. إنها الثامنة إلا الربع تقريبًا ..

ابتسم (اشتياق) وقال مفرغًا محتويات الكيس :

ـ فى مدينة صغيرة ، مثل (سرنَجار) تغدو الساعة زمنًا طويلاً ، لكنه زحام أول النهار المعتاد ..

رمق (عمر) طعام الإفطار المعبأ فى ثلاث علب أخرجها (اشتياق) ووضعها على المنضدة أمامه ، فى حين تابع الأخير وهو ينظر إلى عينى (عمر) الحمراوين :

ـ لم تنم جيدًا ليلة أمس ..

غمغم (عمر) فى إرهاق كاد يقتله :

ـ قل لم أنم مطلقًا ، ومن يمكنه أن ينام فى ليلة كهذه يا (اشتياق) ؟!

غمزه (اشتياق) هامسًا وهو يشير بطرف خفى إلى السيد (روب) :

ـ السيد الصامت أيضًا لم ينم ..

ـ أجل ..

قالها (عمر) فى غير اكتراث وهو يفتح علبة الطعام الخاصة به لتنبعث منها رائحة شهية ، فسأله (اشتياق) وهو يخفض صوته أكثر :

ـ ماذا يفعل منذ ليلة أمس ؟!

أجابه (عمر) دون أن يكترث بخفض صوته هو الآخر :

ـ .. لست أدرى ، منذ أتينا إلى هنا وهو يعمل على الهاتف النقال .. حاولت مرارًا أن أسأله عن كنه مايفعله ، لكنى كنت فى كل مرة أصطدم بحائط صلب ..

تساءل (اشتياق) وهو يعقد حاجبيه الكثيفين :

ـ ترى ما سر صمته الدائم هذا ؟!

ـ لعلها حالة صمم أو ما شابه !

ـ كيف سندعوه للطعام إذن ؟!

ـ هذه مشكلتك وحدك يا عزيزى ، من جانبى سأنأى

بنفسى عن المزيد من الحرج ولن أحاول أن أحادثه بعد ذلك مطلقًا ..

هنا رن هاتف (عمر) المتطور ، ففتحه على الفور تاركًا طعامه ليطالعه على الشاشة وجه العميد (منصور حرب) ..

ـ هل من جديد يا سيدى ؟!

سأل (عمر) فى اهتمام فيه حماسة وإرهاق وتوتر ، فقال العميد (حرب) وصوته يفوح بنبرات إشفاق وأبوة :

ـ لم تنم جيدًا نقيب (عمر) ..

قال (عمر) فى عزم :

ـ ربما عندما نجد (دينا) يا سيدى العميد ..

ـ نأمل أن يتم ذلك بسرعة ..

قالها العميد (حرب) ، ثم أردف بقوله :

ـ ... لقد انتهى السيد (روب) من تركيب جهاز تعقب دقيق فى نظام الهاتف النقال الذى وجدتموه ، وسيساعدنا هذا كثيرًا فى تسجيل أى مكالمات واردة وتعقب أماكنها ، وبالتالى فى تحديد هوية الهدف الذى مازلنا نجهله ..

هز (عمر) رأسه متفهمًا وهو يقول :

ـ هذا ما كان يفعله طوال الليل إذن .. لكن ، كيف أخبركم بهذا يا سيادة العميد ؟!

ـ قلت لك لا تشغل نفسك بأمر اتصالنا به ..

ـ ليكن يا سيدى ، ليس أمامنا إذن إلا المزيد من الانتظار حتى التعفن والتحلل !

ـ بكل أسف ، نقيب (عمر) .. هناك عدة نظريات حول موعد الانفجار القادم لكنها لاتعدو جميعها أن تكون محض تخمينات ..

وفسر العميد (حرب) مستطردًا :

ـ ... أصر بعض أطبائنا النفسيين أن رقم (٣٥) يحمل دلالة معينة ، منهم من يقول إنه يعنى الساعة الثامنة بجمع الرقمين معًا ، ومنهم من يقول إنه يعنى الثانية ظهرًا بطرح الأصغر من الأكبر ، ومنهم من يخمن أنه الثالثة ظهرًا بضرب الرقمين معًا !

قال (عمر) ناظرًا إلى ساعة معصمه :

ـ إنها تقترب من الثامنة الآن مما يقلل من فرصة التخمين الأول كثيرًا ..

وفى نفس اللحظة رن الهاتف المحمول بين يدى السيد (روب) !

ـ ... إحم ، أعنى ليس كثيرًا إلى هذا الحد ..

ـ تعلم ألا تتسرع ، نقيب (عمر) .. هيا ، خذ المكالمة وسأتابع أنا كل شىء من غرفة العمليات .. إلى اللقاء ..

وأظلمت الشاشة الزيتونية فى نفس اللحظة التى

هرع فيها (عمر) نحو السيد (روب) ملتقطًا الهاتف من أمامه ، وقبل حتى أن ينظر فى الرقم الوارد على الشاشة ضغط زر قبول المكالمة على الفور ..

ـ من ؟!

هتف بها بالإنجليزية فى لوعة عاشق أضناه الانتظار ، وبعد هنيهة صمت أحسها دهرًا لا ينتهى أتاه الصوت ذو اللكنة الأمريكية الواضحة :

ـ أنت السيد (عمر زهران) ؟!

من الواضح أن الطرف الآخر يستخدم الجهاز الخاص بتغيير الأصوات ، لكن (عمر) تماسك وهو يقول محاولاً ضبط موجات أعصابه :

ـ سألتك أولاً !

أتته ضحكة عالية من الطرف الآخر ، ثم الصوت الأجش الشبيه بصوت القاتل فى ثلاثية (الصرخة) يقول :

ـ هل سنبدؤها بلهو يليق بالأطفال أم ماذا ؟!

ـ من أنت ؟! ومن أين تتحدث ؟!

هتف بها (عمر) فى ضجر لم يفتعله ، ولهفة لها أسبابها ، وأتاه الجواب سريعًا :

ـ يمكننى أن أجيب عن السؤال الثانى أولاً .. أنا بجوارك يا سيد (عمر) !

انعقد حاجبا (عمر) تلقائيًا وهو يسأل فى توتر :

ـ بجوارى ؟! أين ؟!

ـ أحدثك من الشارع أسفل الفندق ، ألاتسمع الضجيج المميز من حولى ؟!

انتبه (عمر) لقوله ، وتطابق الضجيجين بالفعل ، فهرع من فوره إلى النافذة وأخذ ينظر كالمجنون إلى كل العابرين فى الشارع ..

ـ ... إننى أراك الآن تنظر من النافذة !

جن جنون (عمر) ، فصرخ فى الهاتف :

ـ أين أنت ؟! أنا لا أراك ..

ـ ولن ترانى إلا حين أقرر أنا هذا ..

كالصاروخ انطلق (عمر) يغادر الغرفة مخلفًا وراءه عينى (اشتياق) الحائرتين ، وصمت السيد (روب) البليغ ، وبينما هو يعدو فوق الدرجات الهابطة هتف :

ـ إن كنت تخدعنى فسوف تدفع الثمن غاليًا ..

صدمت الضحكة العالية أذن (عمر) ثانية ، ثم القول المتهكم :

ـ كف عن عنترياتك هذه ، فخيوط اللعبة هذه المرة فى يدى كلها ..

ـ هل تقابلنا مسبقًا ؟!

ـ بالطبع يا عزيزى ، وها نحن أولاء على شفا اللقاء الثانى ..



وبينما هو يعدو فوق الدرجات الهابطة هتف :
ـ إن كنت تخدعنى فسوف تدفع الثمن غاليًا ..

ـ من تكون ؟!

ـ خمن ..

قال (عمر) وهو يجتاز بوابة الفندق دون أن يفارق الهاتف أذنه :

ـ دعنا من اللعب .. أين أنت ؟!

ووقف يقلب البصر فى السائرين من حوله ، أنهار من البشر لا يحمل أى منهم هاتفًا فى يده ، وجوه آسيوية متشابهة وزحام خانق ، سيارات وعربات وحيوانات و ...

ـ منظرك يثير الضحك والشفقة حقًّا وأنت تبحث عنى ..

ـ ألا تريدنا أن نلتقى ؟!

ـ وهل سأفوت فرصة كهذه ؟!

ـ أين أنت إذن ؟!

انظر إلى اليسار ..

امتثل (عمر) ..

ـ .... سترى سيارة (لاندروفر) ضخمة بعد ناصيتين ..

رآها (عمر) ومن فوره خف السير نحوها ..

ـ أجل ..

ـ إنك تقترب ، هذا رائع ..

دنا (عمر) أكثر ، ولمح انعكاس صورته فى مرآة السيارة الجانبية ..

ـ إنك تجلس داخل السيارة ..

ـ اقترب يا عزيزى ، أتوق لرؤية ملامحك عندما نتواجه ..

ـ إنك لا تجلس وحدك ، هناك من يجاورك .. أعنى من تجـ ...

عند هذا الحد كان (عمر) قد بلغ النافذة المجاورة للسائق ، وابتلع بقية عبارته عندما رأى الراكب ..

والراكبة التى تجلس إلى جواره !

★ ★ ★

سأل اللواء (عفت حفنى) ـ مدير المكتب (١٧) ـ فى ذهول :

ـ تقول من ، عميد (حرب) ؟!

وأجاب العميد (منصور حرب) قانطًا :

ـ كما سمعتنى يا سيادة اللواء ..

وصمت هنيهة قبل أن ينطق بالاسم :

ـ .. (ديفيد جوردون) ..

وهنيهة أخرى قبل أن يردف :

ـ ... و (سندى جونز)[*] ..

(★) راجع المغامرة رقم (٢) (عملية العالم الرابع) ..

ولم يستطع اللواء الذى حضر من فوره من منزله سوى أن ينطق بكلمة واحدة معبرة للغاية :

ـ كارثة !

★ ★ ★

ـ لا تنظر كالأبلة هكذا يا عزيزى ..

قالتها (سندى) باسمة وهى تزيح خصلات شعرها الأشقر بأصابعها ، فى حين قال (ديفيد) الذى تغير شكله إلى حد كبير :

ـ مفاجأة جميلة ، أليس كذلك ؟!

ـ أنتما ؟!

ـ كان يجب أن تتوقعوا هذا ، فالمهمة هذه المرة لا تختلف كثيرًا عن المرة السابقة ..

قالها (ديفيد) وأكملت (سندى) :

ـ حتى المكان ، حرب وقتال كالمرة السابقة أيضًا ..

وغمز (ديفيد) قبل أن يقول :

ـ لكنى تغيرت قليلاً ، لانظارات شمسية هذه المرة .. لقد قمت بإجراء عملية زرع كرتى عين كاملتين ، كلفتنى كثيرًا لكن النتيجة كما ترى تستحق ..

سأل (عمر) ولما يسيطر على ذهوله بعد :

ـ وكيف هربتما من المعتقل الروسى ؟!

قالت (سندى) فى نشوة :

ـ الفضل للإخوة دائمًا وأبدًا ..

هنا بدأ (عمر) يفيق ، فأمسك بتلابيب (ديفيد) عبر النافذة وهتف فى عنف :

ـ وأين (دينا) ؟! أين هى الآن ؟!

ـ رويدك رويدك .. لسيت هذه هى الطريقة المثلى للتعامل مع من يمسك بالخيوط كلها فى يديه ..

هتف (عمر) دون أن تفلت يداه ملابس الرجل :

ـ إنها الطريقة المثلى للتعامل مع الأوغاد دائمًا ..

قالت (سندى) فى أداء تمثيلى مصطنع :

ـ الولد المسكين .. يبدو أنه يحبها يا (ديفيد) !

قال (ديفيد) مبادلاً أداءها بأفضل منه :

ـ يا للسخرية .. ماذا يمكن أن يفعل إذن لو عرف أنه هو من سوف يتسبب فى القضاء عليها ، وعلى (سرنجار) بالكامل ؟!

تحولت عينا (عمر) إلى كرتين من اللهب وهو يصرخ :

ـ ماذا تقولان أيها المعتوهان ؟!

أفلت (ديفيد) يده بصعوبة وهو يقول فى استخفاف :

ـ نعم يا فتاى العبقرى أنت فعلتها ، عندما شغّلت زر قبول المكالمة كنت فى الوقت نفسه تضغط زر تشغيل القنبلة القذرة رقم (٢) ، وتحكم على صديقتك والمدينة الهندية بالفناء ..

ـ مستحيل ..

هتف بها (عمر) فى غير تصديق ، وقالت (سندى) فى استمتاع :

- وهكذا تذوق الهزيمة النكراء التى أذقتنا إياها المرة السابقة ..

وأضاف (ديفيد) :

- وتتحقق القسمة العادلة ،لكم ثلث الشحنة النووية ، ولنا الثلث ، والثلث الأوسط ينفجر بعد أقل من دقيقة !

إنه لايمزح ، والوقت ضيق حقًّا ..

أمسكت (سندى) بياقة القميص الضيق الذى ترتديه وقالت :

- لحسن الحظ نحن نرتدى ملابس خاصة صنعت للوقاية من التلوث الإشعاعى ..

وأدار (ديفيد) المحرك قائلاً بدوره :

- بالإضافة إلى ابتعادنا فى عكس اتجاه الريح ، نسبة النجاة من الانفجار تكاد تبلغ الـ ٩٩ ٪ !

ثم إنه أردف ضاحكًا فى حبور وهو يستعد للابتعاد :

- ... حظ أفضل فى اللقاء القادم يا عزيزى المصرى ، لو كان هناك لقاء قادم ..

استوقفه (عمر) صائحًا كالمجنون :

- انتظر .. انتظر ، أين (دينا) ؟! أين هى ؟!

عادت (سندى) تتصنع التأثر وهى تقول :

- أوه ، يا للرومانسية .. أخبره يا (ديفيد) لكى يستمتع بمحاولة إنقاذها المستحيلة ..

قال (ديفيد) وهو ينظر فى ساعة السيارة الرقمية :

- أنت محقة ياحلوى القلب ، لايكاد أمامه إلا أربعون ثانية ..

كاد (عمر) يحطم رأسه بقبضته ، لكنه صبر آملاً فى المعرفة حتى النهاية :

- ... إنها فى الفندق أيها العاشق المغوار ..

صاح فيه (عمر) كعاصفة :

ـ الفندق ؟! ولكننا ...

قاطعه (ديفيد) دون أن تنمحى ابتسامته :

ـ أعلم أنكم فتشتم كل ركن فيه مجددًا ، عدا مكانًا واحدًا غاب عن بالكم ..

أضاء عقل (عمر) فجأة :

ـ السطح !

ـ بالضبط ..

وانطلق (عمر) كالسهم يشيعه هتاف (ديفيد) المتحكم :

ـ ... موتًا سعيدًا يا عزيزى !

اقتحم (عمر) بوابة الفندق وهو يحسب الثوانى المتبقية بينه وبين نفسه ..

ثلاثون ثانية تقريبًا ..

عدا نحو الدرجات واعتلاها ثلاثًا ثلاثًا ..

عشرون ثانية تقريبًا ومازال بينه وبين السطح دوران كاملان !

لهث وتصبب عرقه مجهودًا وانفعالاً ، وواصل اعتلاء الدرجات ..

عشر ثوان تقريبًا ..

من فرط الانفعال والاندفاع تعثرت قدمه على إحدى الدرجات ، فسقط منكفئًا على ظهره وعاد إلى أول الدرجات ..

الوقت يمر ولا وقت للآلام ..

تحامل على نفسه ونهض ، قرر أن يعلو فوق آلامه المبرحة وواصل الصعود ، فقد الإحساس بالزمن ، لكن الكارثة أصبحت قاب قوسين أو أدنى ..

لاح باب السطح مفتوحًا ينبعث من خلاله ضوء شمس النهار الذهبية ..

واصل الصعود ..

كم بقى من والوقت ؟!

ثانية أو اثنتين ..

لافائدة من المحاولة ، لكن حلاوة الروح لها رأى آخر ..

اندفع عبر باب السطح ، وهطلت سيول الطمأنينة عندما رأى أمامه السيد (روب) يحمل بين ذراعيه (دينا) الغائبة عن الوعى ..

(اشتياق) ، كان يقف فى الجوار وبين يديه جهاز تفجير قطعت بعض أسلاكه ..

ـ هذا الرجل أسطورة بحق ..

هتف بها (اشتياق) فى غير تصديق وهو يراقب الجهاز المستقر بين يديه ، وأردف مفسرًا بنفس الذهول :

ـ ... لقد صعد إلى هنا فجأة فى أقل من الثانية ، وبمهارة أوقف المفجر عن العمل .. فى حياتى كلها لم أر سرعة بهذا الشكل ..

بطرف عينه لمح (عمر) أنبوبة السائل الأحمر مستقرة داخل الجهاز ، وفى لمحة خاطفة رأى (دينا) تتنفس بانتظام ، وفى اللمحة الثالثة والأخيرة رأى نفسه منعكسًا على عدسات السيد (روب) القاتمة ..

ثم عدا نحو حافة السطح بمنتهى السرعة ..

لمح (اللاندروفر) تبتعد عند نهاية الشارع ، وقرر بينه وبين نفسه ألا يسمح لراكبيها بالفرار ومعهما ثلث الشحنة الباقى ..

إن هذا يعنى إمكانية صنع قنبلة قذرة ثالثة ، ربما داخل (مصر) نفسها هذه المرة ..

بسرعة حسم أمره ، لاوقت للنزول بشكل طبيعى ..

نظر بسرعة إلى العربات الخشبية الرابضة أمام مدخل الفندق ، وفى اللحظة التالية ..

ـ ماذا تفعل يا سيدى ؟!

صاح بها (اشتياق) فى فزع وهو يرى (عمر) طائرًا فى الهواء ..

ثم ساقطًا إلى أسفل بفعل الجاذبية الأرضية ، من مسافة أربعة أدوار تقريبًا !

* * *

٧ ـ قط وفأر ..

صرخ الواقفون حول عربة الأقمشة الخشبية رعبًا عندما فوجئوا بذلك الذى سقط فجأة من السماء لتقيه الأقمشة المطوية وقع الارتطام ، وقبل أن يعى أى من الواقفين مايجرى ، وثب (عمر زهران) معتدلاً ، وفى لمح البصر دس نفسه داخل أول دراجة (تك تك) عبرت أمامه ..

نطق سائق الدراجة البطيئة بكلمات لم يفهم منها (عمر) شيئًا بطبيعة الحال ، ولما لم يكن هناك متسع من الوقت أمامه حتى يتحلى برحابة الصدر ، دفع السائق فى عنف خارج الدراجة ليقع المسكين متكومًا فى الخارج على الأرض الرملية ، وجلس (عمر) أمام المقود ضاغطًا دواسة الوقود إلى نهايتها ..

انطلقت الدراجة الصغيرة بأقصى سرعة لها فى

الطريق الوعر ، وناور (عمر) بمهارة بين السيارات والمارة والدراجات الأخرى ، متجاهلاً عشرات الأبواق والهتافات والشتائم ..

هدف واحد وضعه نصب عينيه وجند من أجله كل حواسه وطاقاته ..

(اللاندروفر) فى نهاية الشارع ..

انعطف خلفها بعد الميدان الفسيح وهو يفكر :

ربما يرياته الآن عبر مرايا السيارة ، وفى الغالب هما قد استنتجا أن القنبلة قد تم إبطال مفعولها إذ لم تنفجر حتى الآن ..

مازال الخطر قائمًا ومحدقًا بشراسة ، خاصة وأن ثلث الشحنة المتبقى مازال فى حوزتهما بكل التفكير الشيطانى الذى يتمتعان به ..

الطيور على أشكالها تقع بالفعل !

زاد من سرعة الدراجة إلى حد استحال معه أن

تسرع أكثر ، بينما (اللاندروفر) تنطلق فى سلاسة ونعومة تليقان بهذا الطراز من السيارات ..

وانتهى المطاف بالسيارة الكبيرة إلى الطريق السريع ، لتنزلق بنعومة أكثر على الأسفلت الممتد بين الجبال الشاهقة المطلة من بعيد ، ولم يجد (عمر) مفرًا عن الانزلاق بدراجته المتواضعة خلفها ، ليبدو مثل فأر يطارد قطة سمينة !

حاول (عمر) أن يزيد من سرعة الدراجة . صرخ محركها لكنها عجزت عن الإتيان بمعجزة لم تهيأ لها ، وهنا أدرك (عمر) أن دور المسدس المندس بين ملابسه قد أتى ، فاستله على الفور ..

أصابت الرصاصة الأولى الزجاج الخلفى فصنعت فيه ثقبًا واسعًا ، أما الرصاصة الثانية فقد أصابت جسم السيارة المصفح ، وفكر (عمر) أن الاقتصاد والتركيز مطلوبان لئلا تضيع الرصاصات القليلة هباءً ، عندما لمح الزوجين داخل السيارة يتبادلان المقاعد ..

(سندى) ستتولى القيادة ، و (ديفيد) ينتقل إلى جوارها ، والسبب واضح ..

(ديفيد) يريد أن يصطاد (عمر) ، وها هو ذا يجلس على حافة النافذة الجانبية مشهرًا بندقية قنص متطورة نحو (التك تك) المسكينة ..

ولكى يربح (عمر) بعض النقاط ، خاصة مع انخفاض سرعة (اللاندروفر) نسبيًا .. نتيجة التبديل المذكور ، صوب رصاصة موفقة نحو إطار السيارة ..

واختل توازن السيارة ، لتطيش رصاصة (ديفيد) برغم مهارته الأكيدة التى يشهد له بها تاريخه فى القنص إبان عمله فى (الإف بى آى) ..

حاولت (سندى) جاهدة أن تسيطر على جموح سيارة ضخمة تسير فوق إطارات ثلاثة ، بينما استعد (ديفيد) لإعادة التصويب جاعلاً رأس (عمر) فى منتصف دائرة القنص تمامًا هذه المرة ..

ـ لن أخطئك أيها المصرى ، ساعة هلاكك قد حانت بلا ريب ..

واعتصرت سبابة (ديفيد) الزناد ببطء ..

ـ ... الوداع ..

وقبل أن تنطلق الرصاصة ، اخترقت رأسه هو رصاصة آتية من أعلى ، فتدلى جسده خارج (اللاندروفر) مع صرخة (سندى) الملتاعة ، بينما رفع (عمر) ناظريه لأعلى ليرى المروحية تقترب ، وعلى حافتها يجلس السيد (روب) مصوبًا مسدسًا عتيقًا إلى (ديفيد) ..

ـ مازلت قادرًا على إدهاشى بحق أيها السيد !

غمغم بها (عمر) وهو يواصل التقدم بدراجة (التك تك) ، فى حين تدحرجت جثة (ديفيد) الهامدة خارج السيارة لتستقر على جانب الطريق ، والدمع الساخن على وجنة (سندى) القابضة على عجلة القيادة ..

ـ ليكن أيها الأوغاد ..



غمغم بها (عمر) وهو يواصل التقدم بدراجة (التك تك) ، فى حين تدحرجت جثة (ديفيد) الهامدة خارج السيارة ..

غمغمت بها فى غل مكبوت ، وأرسلت نظرة إلى الحقيبة المعدنية المستقرة على المقعد الخلفى مردفة بنفس الشعور :

ـ ... ليكن الخيار شمشون !

وانحرفت بالسيارة فجأة عن الطريق ، فى نفس اللحظة التى تدلى فيها سلم مصنوع من الحبال من داخل المروحية ، وهتف (عمر) مصعوقًا :

ـ ماذا تفعل هذه المجنونة ؟!

وأوقف دراجته بحركة فجائية على قارعة الطريق ، فى نفس اللحظة التى انقلبت فيها السيارة فوق الأرض الصخرية عدة مرات ، حتى استقرت فى النهاية وسط عاصفة من الغبار ، بينما السيد (روب) يهبط عبر السلم المتمايل فى خفة كأنه يمارس رياضة المشى !

أطل (اشتياق) برأسه من المروحية هاتفًا فى ذعر :

ـ إلى أين أيها السيد ؟! إننى لا أستطيع قيادة هذا النوع من الطائرات !

لكن السيد (روب) تجاهله فى صمت كالمعتاد ، واتسعت عينا (عمر) من داخل (التك تك) عندما رأى (روب) يقفز قفزة هائلة ليستقر بعدها فوق (اللاندروفر) المقلوبة رأسًا على عقب ..

ـ يا إلهى ؟! هل هذا ممكن ؟!

لم تصل الغمغمة الذاهلة إلى (روب) بالطبع ، وبسرعة انتصب الأخير واقفًا فوق حطام السيارة ، فبدا كبطل فيلم (آكشن) من الدرجة الأولى ، وما هى إلا ثانية أخرى فتح خلالها الباب الخلفى للسيارة ، وأخرج من داخلها الحقيبة ، ثم انطلق يعدو بأقصى سرعة رآها (عمر) فى حياته لإنسان يعدو ..

وانفجرت السيارة خلفه بمنتهى العنف ..

تألقت النيران على عدسات منظار (روب) الشمسى وهو يحتضن الحقيبة ، وانعكس الوهج فى عينى

(عمر زهران) ، أما (اشتياق) فقد تأكد من أنه لن ينسى هذا اليوم أبدًا مهما امتد به العمر ..

ومهما كابد بعد ذلك من مواقف ..

* * *

ـ لقد نالا جزاءهما العادل يا سيدى العميد ..

قالها (عمر) وهو يستعيد الذكرى فى مكتب أستاذه الذى قال باسمًا بعد أن انزاحت الغمة :

ـ لعلك محق يا فتى ، لولا الهاتف المحمول الذى كنت تحمله ، والذى سقط منك مفتوحًا ، لما سمعنا حوارك معهما ، ولما استطاع (روب) أن ينقذ (دينا) ومدينة (سرنجار) كلها من مصير أسود ..

قال (عمر) وهو يجتر المزيد من الذكريات :

ـ ما من شخص قابلته فى حياتى وأثار حيرتى مثل السيد (روب) هذا ..

ابتسم العميد (حرب) قائلاً فى غموض :

ـ هذا متوقع !

ـ لقد اختفى فجأة كما ظهر فجأة ، أين تراه ذهب يا سيدى ؟!

ـ من حيث أتى !

ـ وكيف يمكن لقدرات مهولة كهذه أن تجتمع فى شخص واحد ؟!

قال العميد (حرب) بمزيد من الغموض :

ـ لاتكن كثير الأسئلة ، نقيب (عمر) .. السيد (روب) واحد من أهم عملائنا وهويته تندرج تحت بند السرية المطلقة .. الظروف الحالكة وحدها هى التى جعلتنا نستدعيه ليشاركك المهمة ..

قال (عمر) فى صدق :

ـ لو لم يكن موجودًا لانتهت العملية برمتها قبل أن تبدأ ..

وتذكر أمرًا فعاد يسأل :

ـ ... ما السر فى صمته الدائم يا سيادة العميد ؟! وكيف تتصلون به دون أن ...

قاطعه أستاذه فى حسم بقوله :

ـ لا تظن أننى سأخرق قواعد السرية من أجلك يا فتى ..

تنبه (عمر) فقال معتذرًا :

ـ بالطبع يا سيادة العميد .. باللطبع ..

ـ كل ما أستطيع قوله يا فتى أنك ستقابله ثانية بالتأكيد فى عمليات قادمة ..

ـ سيكون هذا من دواعى سرورى حقًّا ..

وران صمت ، قطعه (عمر) فى النهاية سائلاً :

ـ ... وكيف حال (دينا) الآن ؟!

ـ فى تحسن ..

ـ حمدًا للّه ..

- لم تسألنى عن (نادر) ، أليس زميلاً لك هو الآخر ؟!

قال (عمر) مغالبًا حرجه :

- بالطبع ، ولكن .. لكن ..

- لكن ماذا ؟!

- أريد أن أصارحك بأمر ما يا سيادة العميد ..

- .... !

- أنت لى بمثابة أب بعد وفاة أبى رحمه اللّه ..

- ماذا هنالك يا فتى ؟! تكلم دون مقدمات ..

تردد (عمر) ، ثم حسم أمره قائلاً :

- ما رأيك يا سيدى لو .. لو ...

- لو ماذا ؟!

قالها العميد (حرب) مشجعًا ، وقد أدرك بخبرته وفطنته باقى العبارة ..

- ... لو تقدمت لخطبة (دينا) يا سيادة العميد ؟!

صمت العميد (حرب) ولم يجب ، لكن الابتسامة التى نادرًا ما تكسو ملامحه ، قالت الكثير ..

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]